من وحي القرآن

تأليف

د/ محمد بن عبد الله بن إبراهيم السحيم

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

التصميم الداخلي للكتاب
ترورت سلطان
Tharwat Sultan
TharwatSultan@yahoo.com
للتواصل :
00201019530152

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ..

أما بعد، فهذا وحي[1] إشارةٍ وإيماءِ تدبر لآيٍ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، جرى رقمه مفرقًا في بضعة أعوام؛ بغية الاستفادة الشخصية منها، ولم يكن ثمّ غرض من نشره؛ لعلم كاتبها بقصر باعه وقلة بضاعته، كيف والشأن عالقٌ بكتاب الله العظيم؟! لكنّ الله – سبحانه – شاء أن تُعرض تلك الوقفات على بعض أهل العلم لمراجعتها؛ فكان منهم الرأي بنشرها؛ فاستخرت الله في ذلك؛ وانشرح للنشر الصدر؛ رغبةً في نيل بركة خيرية القرآن الكريم، وطمعًا في بقاء الأجر بعد الموت . وقد جرى ترتيبها على حسب ورودها في المصحف. والأمل معقود في نصح القارئ الكريم؛ بألا يضنّ على أخيه بسدادٍ وتقويم خلل، وله من المولى الشكور أجر مدخر بإذنه – سبحانه – . ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: آية ١٢٧].

محمد
m8alsuhaim@hotmail.com

❊❊❊

(١) بمعناه اللغوي الذي يشمل الإشارة، والإيماء، والكتابة . ينظر: الزاهر (٢/ ٣٤١)، تهذيب اللغة (٥/ ١٩٣) .

سورة البقرة

﴿ ١ ﴾

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [البقرة: آية ١٩]

أيُّ يقينٍ تفرغه هذه الآية في القلب، وأيُّ قوة تمده بها، وأي حادٍ يحدو للعمل، وأنت ترى تربص الكفار بالإسلام وأهله؛ فتعلم أن الله محيط بهم، وهم تحت سلطانه مقهورون؛ لا يشذ منهم أحد؛ فتأخذ بالأسباب التي يُنزل بها سبحانه تلك الإحاطة والهلاك بأولئك الكفرة!

﴿ ٢ ﴾

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة: آية ١١٨]

تشابه الأقوال أمارة على تشابه القلوب!

﴿ ٣ ﴾

قال تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: آية ١١٨]

شمس اليقين تشرق في سماء القلب؛ فتنجلي عنه سحب الريب والضلال، وتبين له الآيات بمذخورها من الحكم والمعاني، وبقدر ذلك اليقين تكون البصيرة وبيان الآيات والانتفاع بها!

﴿ ٤ ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: آية ١٢٧]

يا لحسن الإخلاص! مع الانهماك في العمل ورهقه لم يغب عن الخليل وابنه

إسماعيل – عليهما الصلاة والسلام – ملاحظة القبول؛ إذ لم تفتر ألسنتهم عن اللهج بسؤاله من حين ابتداء وضعهما قواعد البيت!

﴿ ٥ ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: آية ١٢٧]

ملاحظة القبول في تأسيس العمل مؤذن ببقاء نفعه وعموم بركته!

﴿ ٦ ﴾

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: آية ١٣٢]

ما زكاة الاصطفاء الرباني إلا بذل الجهد في الثبات على الدين حتى الممات!

﴿ ٧ ﴾

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ [سورة البقرة: آية ١٣٣]

في وصية يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أولاده عند ختام حياته بالتوحيد دلالة على أن توحيد الأولاد لخالقهم أعظم قضية يجب أن يتعاهدها الوالد في تربيتهم، وإن كانوا كباراً راشدين صالحين .

﴿ ٨ ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: آية ١٤٣]

إنما تُخفَّف مشاقُّ الطاعة بروْح الهداية!

﴿ ٩ ﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٩]

إذا كان هذا جزاء الكتمان؛ فكيف بجزاء التحريف والتبديل؟!

﴿ ١٠ ﴾

قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: آية ٢١٣]

الإيمان بوصلة تهدي لقبلة الحق عند الاختلاف فيه، وبقدر ذلك الإيمان تكون تلك الهداية.

﴿ ١١ ﴾

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾ [البقرة: آية ٢١٥]

ما دام الله عليماً به؛ فلا يحزنك نكران الآخرين!

﴿ ١٢ ﴾

قال تعالى: ﴿أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: آية ٢١٧]

الحقائق إنما تجلو بميزان الله، لا بموازين الخلق.

﴿ ١٣ ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ [البقرة: آية ٢٢٠]

استشعار وشيجة الإخوة من أعظم ما يحمل المرء على القيام بالحقوق، وينهاه عن هضمها.

١٤

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: آية ٢٢٢]

في تقديم محبة التوابين دلالة على أن طهارة القلب أولى بالاهتمام والرعاية من طهارة البدن، وإن كانا لازميْن.

١٥

قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: آية ٢٢٣]

مزْج المسائل العلمية بالمواعظ والمرققات من أعظم ما يتحقق به الانتفاع بالعلم، ويعين على العمل به.

١٦

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: آية ٢٢٣]

كلٌّ ملاقٍ ربَّه، لكنّ البشارة بهذا اللقاء لا تكون إلا للمؤمنين الذين حققوا إيمانهم بالتقوى.

١٧

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٣٨]

جاءت خاتمةً للآيات المتعلقة بالمآسي الأسرية؛ من طلاق، وفسخ، وتنازع رضاع، وترمل - في دلالة إلهية لبلسم ناجع في مداواة تلك الجراح؛ ذلكم البلسم هو المحافظة على الصلاة!

﴿ ١٨ ﴾

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٩]

حسن الظن بالله واستشعار لقائه؛ يورثان أهله ثبات القلب وشجاعته، ويفعمانه بعبير الفأل الذي لا يعرف اليأس طريقاً إليه مهما كانت الظروف، ويجليان للبصيرة الحقائق؛ فلا يبقى أهلها حبيسي الواقع المنظور المحدود.

﴿ ١٩ ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ [سورة آل عمران: آية ٤١]

من جميل المطالب سؤالُ العبد ربَّه ما يثبّت به طمأنينة قلبه ويزيده منها؛ وذلك فيما يعتقده من حق؛ فقد طلب ذلك أنبياء الله مع كمال علمهم بربهم؛ فكيف بغيرهم، خاصة مع ورود الشبهات؟!

﴿ ٢٠ ﴾

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: آية ٢٦٤]

يا لشؤم الأذى! حين يكون سبباً لردِّ أرجى الطاعات إن هو خالطها.

﴿ ٢١ ﴾

قال تعالى: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٥]

من أعظم فضائل الإنفاق في سبيل الله:

١. نيل مرضاة الله .

٢. الثبات على دينه .

❊❊❊

سورة آل عمران

٢٢

قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [سورة آل عمران: آية ٧-٨]

أعظم الناس خوفًا من زيغ القلب أرسخهم علمًا، وبقدر ذلك الرسوخ يكون ذلك الخوف.

٢٣

قال تعالى: ﴿وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [آل عمران: آية ٢٤]

من شؤم الافتراء في الدين اصطلاء صاحبه بلظى البُعد والتيه عن الحق الذي اتسعت هوّته بافترائه!

٢٤

قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ [آل عمران: آية ٣٥]

بقدر تحرر المخلوق من رِقِّ ملاحظة الخلْق يكون شرف تعلقه بعبودية الخالق!

٢٥

قال تعالى: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ [آل عمران: آية ٣٩]

محاريب الصلاة أنجح مواطن طلب الحوائج من الله وإن عظمت، وهي ميدان البشرى بقضائها!

٢٦

قال تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [آل عمران: آية ٤٣]

الصلاة أفضل شكر لمن اصطفاه الله بنعمة! عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً**»(١).

٢٧

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [سورة آل عمران: آية ٤٨]

الحكمة علم رباني يعلمه الله من يشاء من عباده.

٢٨

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠﴾ [سورة آل عمران: آية ٦٠]

أعظم ما يبعث على طمأنينة القلب ويقينه بصدق الوحي استشعار صدوره عن الله، وبلاغ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، ونقل أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ له .

٢٩

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [سورة آل عمران: آية ٧١]

في تقديم ذكر تلبيس الحق بالباطل إشارة إلى أن شر التلبيس وخطره أعظم من شر الكتمان وخطره .

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠) .

٣٠

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ [آل عمران: آية ٧٥]

هذا هو التعامل المناسب مع أهل المماطلات!

٣١

قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾ [آل عمران: آية ١١١]

إذا كان هذا حال أهل الكتاب وهم يحملون بقية كتب سماوية محرفة، فكيف بأصحاب الديانات الأرضية التي لا تمتّ للسماء بصلة؟!

٣٢

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران: آية ١٢٦]

خاب من ابتغى النصر من غير مصدره الوحيد!

٣٣

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [آل عمران: آية ١٣٣ - ١٣٦]

يا لكرم الله وجميل فضله! أربعة من أعظم أسباب المغفرة؛ ثلاثة مع العباد، وواحدة مع الله:

١. دوام النفقة في الخير.

٢. كظم الغيظ.

٣. العفو.

٤. التوبة والاستغفار.

٣٤

قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: آية ١٤٠-١٤١]

أربع من مقاصد سنة الابتلاء:

١. ظهور علم الله في أهل الإيمان.

٢. اصطفاء الشهداء.

٣. امتحان إيمان المؤمنين.

٤. إهلاك الكافرين.

٣٥

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ١٤٧]

هكذا كان هجيرى قولهم في ظل ما أصيبوا به في سبيل الله؛ وكانت العقبى أن سلموا من الضعف والذل للعدو إبان طرْق المصاب، وفازوا من الله بثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وغدوا من المحسنين.

٣٦

قال تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: آية ١٥٤]

جعل النفس محور التفكير والاهتمام يفضي بصاحبه لدركة سوء الظن بالله!

٣٧

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [سورة آل عمران: آية ١٦٦]

لا تجد موطناً يفتضح فيه المنافقون، ويكشرون عن وجههم القبيح كالأزمات التي تعرض للأمة .

جزى الله الشدائد كل خير

عرفت بها عدوي من صديقي[1]

٣٨

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [سورة آل عمران: آية ١٦٧]

من غايات تقدير البلاء على الأمة ظهور أهل النفاق ، وسقوط أقنعة التمويه التي طالما خدعوا بها أهلَ الإيمان .

(١) مجاني الأدب (١/ ٢٧) .

سورة النساء

٣٩

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾ [النساء: آية ٧١]

ليس الحذر دوماً في الإحجام، بل ربما كان الحذر في الإقدام .

٤٠

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ ﴾ [سورة النساء: آية ١٠٤]

من أقوى ما يشحذ الهمم في ملاقاة العِدى، ويقوي عزم الاصطبار عليهم؛ استشعار أمرين: اشتراك الفريقين في ألم المناكفة، وانفراد المؤمنين برجاء حسن العاقبة من الله . فلئن تشاركوا في حاضر المعاناة؛ فرجاء عقبى الخير خالص لأهل الإيمان؛ فلا استواء - حينها - في اصطبار الجهد؛ إذ لا استواء في العاقبة.

❊❊❊

سورة المائدة

٤١

قال تعالى: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [سورة المائدة: آية ١٤]

متى رأيت مباغضة بين المؤمنين - وإن كانوا طلبة للعلم - وعدواة؛ فاعلم أن وراءها علماً متروكاً . وبقدر ذلك الترك تكون تلك العداوة والبغضاء، ولن تزول إلا بزوال سببها.

٤٢

قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المائدة: آية ٢٣]

الإقدام المدروس المقرون بالتوكل على الله هو الخطوة الأساس باتجاه القرار الصحيح، وتجاوز عقبة رهبة البداية؛ ومن ثمّ يكون النجاح والغلبة.

٤٣

قال تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [سورة المائدة: آية ٢٧]

الحسد داء خطير؛ قد يحمل صاحبه على تقحم الموبقات، والجرأة على سفك الدم الحرام وإن كان دم أقرب قريب.

٤٤

قال تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [سورة المائدة: آية ٢٧]

قد يكون التفوق الديني سبباً في الحسد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «والحسد يكون على المال والجاه جميعًا، كما قد يكون على الدين والعلم»[(١)].

٤٥

قال تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [سورة المائدة: آية ٤٩]

* المحذِّر = الله جَلَّ جَلَالُهُ.
* المحذَّر = النبي المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
* المحذَّر منه = ترك شيء من دينه؛ استرضاء لأهل الكتاب.

أفلا يكون غيره أحق بهذا الحذر والتحذير مع عدم عصمته؟!

٤٦

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ [المائدة: آية ٤٩]

من أخطر مصائب الذنوب وعقوباتها التي لا تُرى، ولا يُشعر بها، صرفُ العبد عن الطاعة، والانقيادِ عن الهدى، والرجوع للحق . قال مالك بن دينار: «إن لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب»[(٢)].

٤٧

قال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾

[المائدة: آية ٥٠]

السمو بحكم الشريعة نابع من اليقين بسمو مَصدرها.

---

(١) جامع المسائل (المجموعة الأولى) ٥٢ .

(٢) حلية الأولياء (٦/ ٢٨٧) .

٤٨

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة: آية ٥٠]

لا تتبين محاسن أحكام هذا الدين إلا بمنظار اليقين؛ فثمّ اطراد بين ذلك البيان واليقين؛ وجوداً وعدماً، زيادة ونقصاناً.

٤٩

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: آية ٥٩]

في نقمتهم على أهل الإيمان بسبب إيمانهم معْلمٌ في الوعي؛ أنه ليس كل ما يُنقم مثلبةً ونقصاً، بل ربما كان منقبة وفضلاً.

إذا محاسنيَ اللاتي أدلّ بها
كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر![1]

٥٠

قال تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة: آية ٧١]

من أعظم ما يصد عن الهدى الذنوبُ التي غفل عنها صاحبها وأمن من عدم تبعتها وشؤمها؛ فكانت فتنة عليه؛ حين أعمته عن تبصر الحق، وأصمّته عن سماعه، وصرفته عن فهمه .

٥١

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ

(١) البيت للبحتري، ينظر: محاضرات الأدباء (١/ ٢٩٦) .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ [المائدة: آية ٨٢]

العلم والعبادة وعدم الكِبر أسباب تقود لمعرفة الحق وقبوله.

٥٢

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: آية ٨٣]

إن لمعرفة الحق عند الصادق فرحةً؛ قد لا يملك معها دمعه.

٥٣

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: آية ٨٣]

هكذا شأن الإيمان في رفع الهمم والاهتمامات؛ كان مشهوداً عليهم، فلما آمنوا طمحوا أن يكونوا شاهدين على الأمم.

٥٤

قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة: آية ٨٤]

من عرف الحق، وأيقن بحسن عاقبته؛ صبر على مكابدة شدته، وهان عليه ما يلقى في سبيله .

قال الحسن البصري: «إن هذا الحق جهد الناس، وحال بينهم وبين شهواتهم؛ فوالله ما صبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته!»[1].

(١) حلية الأولياء (٦/ ١٩٧) .

٥٥

قال تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾ [المائدة: آية ٨٥]

ما أبلغ قول الصدق! وما أجلَّ قدره حين ارتقى بأهله لمنازل أهل الإحسان؛ وكان سببًا في ظفرهم بالجنات!

٥٦

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [سورة المائدة: آية ٩١]

قُدِّم هذا المقصد الشيطاني بالأسلوب الحاصر؛ لعظيم شره على المجتمع، ولأنه يسهّل ما وراءه من المقاصد الشيطانية الأخرى.

٥٧

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [سورة المائدة: آية ٩١]

في إبراز هذا المقصد الشيطاني (إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين)، وتقديمه بالأسلوب الحاصر إشارة لعظيم شره على المجتمع، وأنه مسهّل لما وراءه من المقاصد الشيطانية الأخرى.

٥٨

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [المائدة: آية ٩٤]

إذا دنا الحرام، وتيسرت أسبابه، وأمكن إخفاؤه عن ملاحظة عيون الخلق؛

فذاك - لعمر الله - موطن اختبار شـديد لخوف السـر من الله حين لا مانع ثمّ من مقارفة الحرام سوى خشية الغيب!

قال الشـافعي: «أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف»[1].

❊❊❊

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٣٥).

سورة الأنعام

﴿ ٥٩ ﴾

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ [سورة الأنعام: آية ٣]

كل الأسرار عند الله معلومة مكشوفة؛ فطوبى لذوي السرائر الخيرة، ويا بؤس من خان الله في سره!

﴿ ٦٠ ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: آية ١٧]

أي تعلق وحسن رجاء بالله تسكبه هذه الآية في قلب من مسه ضر؛ حين ينقطع رجاء فرجه إلا من أرحم الراحمين! عندها يكون الفرج! فـ«الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق»[(١)].

﴿ ٦١ ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٧]

دلالةُ حصرٍ لا تبقي للمرء من تعلقٍ بغير مَن قدّر ضرَّه في كشف ضرِّه؟!

﴿ ٦٢ ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٧]

إشارة إلى أن كشف الضر قرينُ انقطاعِ رجائه فيما سوى الله سبحانه!

﴿ ٦٣ ﴾

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣١).

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: آية ٤٢-٤٤]

الأخذ بالعذاب المفاجىء يُمهَّد بأمور :

١. قسوة القلب.
٢. عدم الاتعاظ بالأحداث الشداد.
٣. تزيين العمل السيء في عين فاعليه.
٤. إغداق النعم بعد الشدة، مع الفرح بها، وعدم شكرها.

٦٤

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: آية ٤٣]

قسوة القلب أعظم صارف عن الاتعاظ بالشدائد، كما أنها مركب الشيطان في تزيينه للعبد سوء عمله.

٦٥

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ٥٣]

من رام اصطفاء الله له بالمنن؛ فليلزم سبيل الشكر.

٦٦

قال تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ٥٣]

من رام اصطفاء الله له بالمنن؛ فليلزم سبيل الشكر.

﴿ ٦٧ ﴾

قال تعالى: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ [سورة الأنعام: آية ٥٥]

من أجل المقاصد الربانية والعلوم النافعة فضح مكائد الأعداء، وبيان طرائق شرهم . والوحي والابتلاءات والتاريخ مكمن اقتناص ذلك العلم الشريف.

﴿ ٦٨ ﴾

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ [سورة الأنعام: آية ٦٤]

هل بقي بعد هذا كرب عام أو خاص لا يعمه الإنجاء الإلهي؟!

﴿ ٦٩ ﴾

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ [سورة الأنعام: آية ٦٤]

هل بقي بعد صراحة هذا العموم كرب لا ينجي الله منه؟!

﴿ ٧٠ ﴾

قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [سورة الأنعام: آية ١١٢]

أبرز ما ينصر به الشياطين بعضهم القولُ المزخرف الغارّ المضل.

﴿ ٧١ ﴾

قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [سورة الأنعام: آية ١١٢]

القولُ المزخرف المضلَّل هو بضاعة الشياطين في ترويج باطلهم ونصرته.

﴿ ٧٢ ﴾

قال تعالى: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ

مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ [سورة الأنعام: آية ١١٣]

الإيمان بالآخرة ودوام ذكرها عاصم من ميل القلب لشبهات المبطلين؛ فضلاً عن القناعة بها، والسدور في غيها.

٧٣

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [سورة الأنعام: آية ١١٩]

من مكامن خطر اتباع الهوى أنه يقود صاحبه إلى الضلال من غير أن يشعر.

٧٤

قال تعالى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ١٢٧]

العمل الصالح سبب ولاية الله للعبد؛ وأجلّ ذلك العمل الإيمان والتقوى؛ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس: آية ٦٢-٦٣].

٧٥

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ١٢٩]

الظلم مغناطيس شؤم؛ يجذب الظلمة لبعضهم، ويشكِّل فُرَقهم.

٧٦

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأنعام: آية ١٢٩]

أعمال السوء - وعلى رأسها المظالم، والقابلية لفعلها - هي الجاذب لموالاة الظالمين لبعضهم، واصطفائهم بطانة لهم.

سورة الأعراف

٧٧

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾ [سورة الأعراف: آية ١٦]

هـذا دافِـع إمام المضليـن في الإغواء والصـد عن الصراط المسـتقيم؛ غوى فأغـوى؛ فلم يقـر له قرار إلا بالإضـلال، وهكذا أتباعه في أي زمـان ومكان على سنته سائرون!

٧٨

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾ [سورة الأعراف: آية ١١٤]

الإغراء بالمنصب فتنة قل أن تصمد لها العقول.

٧٩

قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ [سورة الأعراف: آية ١١٦]

هذه حيلة الطغاة في ترويج الباطل وفرضه!

٨٠

قال تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥﴾ [سورة الأعراف: آية ١٢٤-١٢٥]

في تذكّر الرجعى إلى الله عزاء من كل فائت، وأمان من كل خوف.

٨١

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ [سورة الأعراف: آية ١٢٦]

جـؤارٌ إلى السـميع المجيب بإفراغ كلـي للصبر؛ حتى لا يـترك ذرة في كيان الداعي إلا غمرها وملأها .

﴿ ٨٢ ﴾

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [سورة الأعراف: آية ١٢٦]

يالروعة الإيمان! مع هذا الإرهاب الطغياني والوعيد الفرعوني كان همّهم الثبات على الدين حتى الوفاة والصبر على الاستقامة.

﴿ ٨٣ ﴾

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [سورة الأعراف: آية ١٢٦]

لزوم الصبر سبيلُ الثبات على الدين.

﴿ ٨٤ ﴾

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [سورة الأعراف: آية ١٢٦]

هذه الدعوة من أعظم ما يدعى به في مواطن التهديد والخوف.

﴿ ٨٥ ﴾

قال تعالى: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُواْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [سورة الأعراف: آية ١٢٨]

الاستعانة بالله والصبر هما جادة العاقبة المحمودة وإن طال الطريق.

﴿ ٨٦ ﴾

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [سورة الأعراف: آية ١٤٤]

هذا بيان لأجلّ الاصطفاء الإلهي؛ سبيلاً لنيل هذا الاصطفاء بالعلم الرباني: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾، وأداءً لحقه؛ تمسّكاً وشكراً: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

٨٧

قال تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٤٦]

هذا سر عدم اتعاظ الطغاة بمصارع نظرائهم وسوء ختامهم.

٨٨

قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٥٦]

مهما ساءت الظروف واشتدت؛ فإن سعة رحمة الله تأتي من ورائها؛ تغمرها؛ حتى لا تبقي لها أثراً؛ ليبقى نظر الحصيف وعمله في ساعات الشدة تلمّس أسباب تنزّل رحمة ربه التي يرفع بها بأسه.

٨٩

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾ [سورة الأعراف: آية ١٧٠]

من أجلى صفات المصلحين؛ قوة تمسكهم بالوحي علماً وعملاً، وعنايتهم بالصلاة.

٩٠

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف: آية ١٧٠]

الاستمساك الجاد بالكتاب المنزل، وإقامة الصلاة أخص صفات المصلحين، وهما سبيل الإصلاح الذي لا يضيع الله أجر أهله.

❋❋❋

سورة الأنفال

٩١

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة الأنفال: آية ١٢]

طلب المعية الربانية الخاصة واستشعارها أعظم أسباب الثبات، وأقوى وسائل التثبيت.

٩٢

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنفال: آية ١٨]

أني لكيد قد أضعفه القوي أن يقوى أو يبقى وإن تآمر عليه أمم الكفر وبلغ مداه ما بلغ ! وجاء في قراءة صحيحة ﴿**مُوَهِّن كيد الكافرين**﴾.

قال الطبري: «والتشديد في ذلك أعجبُ إليّ؛ لأن الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، عقدًا بعد عَقْدٍ، وشيئًا بعد شيء»[(١)].

٩٣

قال تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [سورة الأنفال: آية ٤١]

النطاق الجغرافي، والعدد، والترتيب البشري الذي كان في غزوة بدر، كل ذلك لا يرتقي في التصور البشري لأن يكون فيصلاً في التاريخ، وفرقانًا يوصف به ذلك اليوم في كتاب الله، ولكنها إرادة من يحكم الكون سبحانه. وفي هذا عبرة بالغة للداعي إلى ربه ألا تأسره قلة الإمكانات في تبليغ رسالة الله متى ما صح منه العزم والصدق؛ فقد ينزل الله على عمله بركة لا ينقطع نفعها إلى يوم الدين.

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٤٥٠.

٩٤

قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: آية ٤٩]

للإيمان نظرة للواقع وتفسيره؛ تتعدى إطارَه المنظور؛ لا يصل إلى تلك النظرة، ولا يفهمها مَن حُرِم نعمة الإيمان؛ وبسبب ذلك تباينت مواقف أهل الإيمان في التعامل مع هذا الواقع عن تعامل غيرهم.

٩٥

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأنفال: آية ٦٣]

الرباط المجتمعي القوي؛ لا ينشئه إغداق مادي سخي وإن بلغ ثروات الأرض قاطبة - مع شغف النفوس بالمال؛ فضلاً عن غيره! -؛ لا ينشئ ذلك الرباط، ولا يحقق تلك الألفة المجتمعية، ويبقي عليها، شيء سوى الدين الحق؛ الذي به يجمع الله نفار تلك القلوب، وينظم عقدها؛ وبه يغدو بناء المجتمع صلباً متجانساً؛ فالدين - وحده - عمدة القوة والوحدة للمجتمع والدول.

٩٦

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: آية ٦٤]

بقدر اتباع العبد للهدى النبوي تكون الكفاية الربانية له.

﴿ ٩٧ ﴾

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [سورة الأنفال: آية ٧٠]

مـا أبلـغ نية الخير حيـن كانت عزاءً من كل فائت بأحسـن العوض، وسـببًا لمغفرة الذنوب وإن عظمت!

❊❊❊

سورة التوبة

٩٨

قال تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة التوبة: آية ٨]

مهما تفنن المشـرك في عبارات التطمينات والترضية؛ فإن ختله لا يؤمن بإباء قلبه، والإباء - في لغة العرب - أشد الامتناع.

٩٩

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة التوبة: آية ٢٢]

من سـمت همتـه لنيل ذلك الأجـر العظيم ممـن لا أوفى ذمةً منـه، ولا أذكر للإحسان منه، ولا أعظم من ثوابه - سبحانه -؛ لم يدخر وسعًا في البذل والعطاء وإن قوبل معروفه بالنسيان أو النكران.

١٠٠

قال تعالى: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [سورة التوبة: آية ٢٥]

الإعجاب بالكثرة ركونٌ لأسـباب النجاح دون تعلق بمسـببها - سبحانه -؛ وذلك سالبٌ لنفعها، ومفضٍ لتعثرٍ وفشل جائح من حيث يُظن نفعها.

١٠١

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [سورة التوبة: آية ٤٦]

التثبيط والتثاقل عـن الطاعة المفضي لتركها والزهد فيها علامة كره الله فعلَ صاحبهـا لهـا، وبالضد من ذلك؛ النشـاط في الطاعة وانشـراح الصـدر لها علامة محبة الله فعل صاحبها لها.

١٠٢

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة التوبة: آية ٥١]

أي يقين وطمأنينة تسكبها هذه الآية في قلب المؤمن إزاء الفواجع والمخاوف، حين يعلم أنها لا تعدو ما قدّره سلفاً مولاه الذي تولاه بإيمانه، وكفاه بتوكله، وكتب ما أصابه له، لا عليه؟!

١٠٣

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة: آية ٦٢]

إيثار المراضي محك الإيمان؛ فتقديم رضا الله - سبحانه - على رضا المخلوقين عند التعارض، أو التزاحم من أدق مواطن امتحان الإيمان، وأشدها في بلو خبره.

١٠٤

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة: آية ٦٤]

مهما تفنّن أهل النفاق في تعمية خبث نفاقهم، واحتاطوا له، وزوّقوه ببهرج الشعارات؛ فإن الله لا بد فاضحه!

١٠٥

قال تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة: آية ٦٧]

شحُّ نفوس المنافقين تمنعهم من بذل الخير، والمشاركة في العمل الخيري؛ فميدان العمل الخيري الصحيح نافٍ خبثَ النفاق!

١٠٦

قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [سورة التوبة: آية ٧٧]

رُبَّ خُلْفٍ في وعد معقود مع الله كان سببًا في نفاق دائم!

١٠٧

قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة التوبة: آية ٩٢]

ما أعجب صدقهم! حين عجزوا عن الطاعة - وإن كان فيها موتهم - بعد بذل أسبابها؛ لم يقدروا على حبس دموعهم التي فاضت بغزارة من عيونهم، فوارَوْها بصرف الوجه؛ وكان ذلك المنظر في عين من لا تخفى عليه خافية؛ فخلّد ذكره في كتابه، وأعقبه في ختام السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾! [سورة التوبة: آية ١١٩]

١٠٨

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [التوبة: آية ٩٤]

شريط أعمال المرء معروض عليه يوم القيامة من لدن عالم الغيب والشهادة؛ فيا طوبى من نقّاه قبل موته؛ بعمل صالح وتوبة نصوح؛ فلم ير في يوم العرض إلا ما يسره؛ من حسنات تقبلها الله، وسيئات قد بدلها الله له حسنات!

١٠٩

قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾ [سورة التوبة: آية ٩٩]

احتساب النفقات الواجبة والمستحبة، والإخلاص فيها، ورجاء ثوابها من الله من أعظم ما يقرّب إلى الله، ويكون سبباً في محبته للعبد، وإدخاله في رحمته في الدنيا والآخرة.

١١٠

قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٠٢﴾ [التوبة: آية ١٠٢]

الاعتراف بالذنب طريق المنيب للتوبة.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله؛ تاب الله عليه**»[(١)].

ومن أخطر ما يصد العبد عن هذا الاعتراف التحيّل والتأويل!

١١١

قال تعالى: ﴿صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [سورة التوبة: آية ١٠٣]

الصدقة دواء ناجع للتطهر من الذنوب، ولتزكية النفوس وتطييبها.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٦١).

﴿ ١١٢ ﴾

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ [التوبة: آية ١١٧]

تاب على أولئك الصفوة مع عظم بذلهم؛ فما حال المقصرين أمثالنا؟! رحماك اللهم!

❊❊❊

سورة يونس

١١٣

قال تعالى: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ [يونس: آية ٩]

هداية الله – سبحانه – العبد حسب إيمانه؛ فبقدر ما استكثر من تحقيق شعبه؛ تعظم هداية الله له.

١١٤

قال تعالى: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١﴾ [يونس: آية ١١]

غياب استشعار حساب الآخرة حامل على التمادي في الطغيان، والحيرةِ في دركاته . واستشعار ذلك الحساب سبيل رحمة الله بالعبد؛ فلا يدعه هالكًا بين تلك المهالك!

١١٥

قال تعالى: ﴿لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [يونس: آية ١٤]

الاعتبار في الأعمال بكيفيتها، لا بكمّيتها!

١١٦

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة يونس: آية ٥٥]

ماذا تشكّلُ حاجتك من مساحة هذا المُلك العظيم؟ اطلبها من الملك الكريم القريب المجيب.

١١٧

قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ

﴿قِبۡلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾ [سورة يونس: آية ٨٧]

بعد دعائهم ربَّهم بالخلاص من الطغيان الفرعوني؛ أرشدهم الله إلى المخرج من تلك الأزمة العامة الخانقة؛ بالمحافظة على إقامة الصلاة؛ إذ هي سبب تفريج كل أزمة؛ عامة كانت أو خاصة.

١١٨

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [سورة يونس: آية ٨٨]

المال المسلّط في الصد عن دين الله، ومحاربته، وإيذاء المؤمنين جدير بالدعاء على إذهابه؛ لعظيم الفساد المترتب عليه.

١١٩

قال تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ [يونس: آية ٨٩]

دعوة كانت سببًا في هلاك أمة طاغية ونجاة أمة مستضعفة! فلا تحتقر دعوة تدعو بها لأمتك؛ فلربما كانت من أسباب نجاتها!

❊❊❊

سورة هود

١٢٠

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [سورة هود: آية ٦]

اطمئن؛ من تكفل برزقك هو الله؛ فاطلب رزقك منه متوكلاً عليه، قاطعاً أملك وخوفك من مخلوق أن يرزقك أو يحرمك من رزق قد كتبه الله لك.

١٢١

قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [هود: آية ٢٧]

وصْمُ المستمسكين بالدين بالتسطيح وعدم العمق الفكري سنة موروثة من لدن قرون التكذيب الأولى!

١٢٢

قال تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡ﴾ [سورة هود: آية ٥٥-٥٦]

كل أسباب الحماية تتقاصر دونًا أمام الحماية الربانية التي ينالها العبد بتوكله على ربه؛ إذ هو ركونٌ وثيق مطمئن لقوة العزيز التي لا يصمد أمامها شيء، واستحماءٌ بمنعته التي لا يخفرها كيد مخلوق مهما بلغ!

١٢٣

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [هود: آية ١٠٣]

بقدر ما عُمر القلب بخوفُ الآخرة يكون اتعاظه بالآيات والحوادث.

❋❋❋

سورة يوسف

١٢٤

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [سورة يوسف: آية ٢٢]

العلم والفهم منائح ربانية لمن حقق مقام الإحسان.

١٢٥

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: آية ٣٦]

قالها إخوة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ له وهو في منصب الوزارة، وقالها صاحبا السجن له وهو سجين؛ هكذا هم أهل الإحسان مطّردون؛ لا يدعون سجية الإحسان مهما كان حالهم في رخاء أو شدة.

١٢٦

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [سورة يوسف: آية ٨٦]

الهمّ والحزن أحمال ثقال؛ تفري القلب، وينوء عن حملها . ولا يسرّي عنها سوى إدمان الشكوى لمن بيده الفرج، والعيش في رحمة انتظار فرجه .

قال رجل لمعروف الكرخي: «أوصني، قال: توكل على الله؛ حتى يكون جليسك، وأنيسك، وموضع شكواك»[١] .

١٢٧

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [سورة يوسف: آية ٨٦]

---

(١) التوكل لابن أبي الدنيا (٦٣) .

حسن الظن بالله علم رباني شريف؛ يصطفي الله به من أحب من عباده .

قال قتادة: «ذكر لنا أن نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاءٌ قط إلا أتى حُسْنُ ظنّه بالله من ورائه»[1] .

١٢٨

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة يوسف: آية ٨٦]

الله وحده هو من يحب أن يسمع شكوى عبده، بل يحب إلحاحه عليه بها حين تبرّم الخلق من سماعها، وهو - سبحانه - القادر على حلِّ هذه الشكوى حين كان الخلق عاجزين عنها إلا بإذنه وإقداره؛ فهل بعد ذا تكون شكوى لغيره؟!

وهل بعد ذا يكون متعلَّق بسواه؟!

١٢٩

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [سورة يوسف: آية ٨٧]

لا شيء يبعث على الإيجابية والعمل - رغم حلكة البلاء وتجهم سمائه بسحب الأحزان والهموم - سوى إحسان الظن بالله، وقوة اليقين بقرب فرجه، الذي ما يزيده طولُ البلاء، وخفاءُ وجوه أسباب الفرج إلا قربًا!

١٣٠

قال تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [سورة يوسف: آية ٩٤]

تأكيد ينبيك بأن للأمل دلالة لا يشعر بها إلا الواثقون بالله جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٧) .

١٣١

قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٠]

سمو خلقي من نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع سوء صنيع إخوته؛ حين نسب السبب إلى نزغ الشيطان، وابتدأ بنفسه قبل إخوته مع أنه لم يبدر منه سوء، وذكرهم بوصف الأخوة المضافة إليه. ما أحوجنا لهذا التعامل النبوي مع أقاربنا!

١٣٢

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [سورة يوسف: آية ١١٠]

تنـزُّل الفرج الرباني يعقب ذروةَ البلاء واشتداد بأسه الذي قد تتسرب في لحظاته العصيبة إلى قلوب خواص الخلق خواطرُ اليأس من تغير الحال.

❊❊❊

سورة الحجر

١٣٣

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [سورة الحجر: آية ٨٥]

ذكـر الآخرة مرقاة؛ يعلو بها العبد عن حطة ملاحقة حظوظ النفس بالانتقام، والانشغال بمعاركها الصغيرة التي كثيراً ما تصد عن الاستعداد للآخرة.

١٣٤

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [سورة الحجر: آية ٨٥]

تذكر الآخرة أعظم ما يتخطى به المرء عقبات المشاق الذي يمثّل حظ النفس رأس هرمها.

❊❊❊

سورة النحل

١٣٥

قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [سورة النحل: آية ٣١]

فطموا نفوسهم عما حرم من شهوات الدنيا؛ فجوزوا بتلبية جميع ما يطلبون في الآخرة.

١٣٦

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة النحل: آية ٧٧]

اليقين بعموم تلك القدرة الربانية، وخضوع كل شيء تحت سلطانها؛ يطلق الأمل في طلب الحاجات مهما بلغت من الله القدير، ولا يكون به المرء حبيس واقع يظنه لا يتغير.

١٣٧

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [سورة النحل: آية ٨٠]

راحة المنزل ليست باتساعه، وفخامته، ووجود وسائل الترفيه فيه، ولكن بما جعل الله فيه من راحة وطمأنينة؛ وأجلُّ ما استجلبت به تلك الراحة والطمأنينة طاعةُ الله وتقواه.

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره؛ أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره؛ أن لا يقرأ فيه القرآن»[(١)].

(١) رواه الدارمي في سننه ٤/ ٢٠٨٥

١٣٨

قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة النحل: آية ١٠٢]

هـذا طوق نجاة الثبـات من طوفان الفتن المتلاطم؛ فمـا نصيبه من برنامجنا اليومي؟!

❊❊❊

سورة الإسراء

١٣٩

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء: آية ٢٤]

أعظـم دعوة تدعو بها لوالديك، وتدنيك من واحة برِّهم؛ هي ما علّمك ربك الخالق البَرُّ العليم، وأمرك بسؤاله لهما.

١٤٠

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾ [الإسراء: آية ٢٨]

حسن الظن بالله، وتوقّع الفرج منه رحمة وارفة؛ تندّي جفاف الحال، وتفتح للأمل آفاقًا رحبة وإن توارت معالم قرب الفرج بين سحب الشدائد والابتلاء!

١٤١

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾ [سورة الإسراء: آية ٢٨]

انتظار الفرج رحمةٌ؛ لا يضيق معها حال، ولا يتسرب للقلب معها يأس!

١٤٢

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [سورة الإسراء: آية ٣٦]

امتثـال تلك الوصيـة القرآنية كفيل باحترام العقل وضبطه في مسـاره ومجاله الصحيح؛ لالتزامه بحدود معارفه، وعدم خوضه فيما لا إحاطة له بعلمه.

١٤٣

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [سورة الإسراء: آية ٣٦]

كم نحن جديرون بامتثالها في إصدار أحكامنا في عصر الدجل الإعلامي وتوظيفه.

١٤٤

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء: آية ٣٦]

احـترام عقلك يبدو حين لا تتكلم إلا فيما لديك فيه معلومة صحيحة كاملة، وتدرك مآل تلك المعلومة حين تنطق بها، وسـلّم أولوياتها . هذا ما يشـي به ذلك العلم الذي يجمل السكوت بنقصه؛ بله فقده!

١٤٥

قـال تعالـى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سـورة الإسراء: آية ٤٥-٤٦]

بقـدر تذكر الآخـرة يكون انتفـاع القلب بالقـرآن؛ إذ تذكـر الآخرة مجلاة للقلـب من كل صدأ حائل يحول دون الانتفاع؛ ولذا سـريعـًا ما يؤثر فيه القرآن إذا قُرئ .

١٤٦

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [سورة الإسراء: آية ٦٠]

إن ربـًا أحاطت قدرته بالناس قادرٌ على كفايتك من شـرورهم، وتخليصك منها؛ فابتغِ حبل ولايته؛ لتظفر بولايته.

١٤٧

قال تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ٦٤]

الوعـود والأمـاني فخـاخ ومصائد شـيطانية؛ كثيراً ما يسـتميل بها الشـيطانُ

الخلقَ، ويغويهم . وبتيقن كذب هذه الوعود، وتيقن العلم بإفضائها إلى الشرور؛ تكون العصمة والسلامة من شراكها وحبائلها.

١٤٨

قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ٧٣]

من أدق معرفة حال المرء النظرُ: مَن هم خصومه وأصدقاؤه؟

١٤٩

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ٧٥]

من مخاطر قبول التنازل عن ثوابت الدين عدم انتهائه إلى حد، كمقطورة عطبت مكابحها في منحدر شديد؛ لا تنتهي فيه إلا إلى سفح بوجبة قد تكون مهلكة!

١٥٠

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ٨٠]

التوفيق والتأييد الرباني للعبد قرينا صدقه مع ربه؛ والدعاء أجل أسباب تحصيل ذلك.

١٥١

قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ٨٠]

إلهام الله عبده الحجة القوية في كلامه وأفعاله ومواقفه من خير ما يبعث على الثبات، والطمأنينة، والتأثير، والنصرة . وما طلبت تلك الحجة بمثل سؤال الله إياها.

١٥٢

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة الإسراء: آية ٨١]

متى رأيت باطلاً منتفشاً فاعلم أن وراءه ضعفاً بالقيام بالحق؛ إذ لا يمكن للباطل أن يصمد للحق؛ لأن الباطل ضعيف؛ من طبيعته التلاشي والاضمحلال.

١٥٣

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: آية ٨١]

لا يمكن لزبد الباطل أن يبقى صامداً أمام سيل الحق الصافي حين يهدر!

١٥٤

قال تعالى: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: آية ٨١]

من أسرار زهوق الباطل أنه يحمل في ذاته عوامل هلاكه واضمحلاله!

قال أبو زرعة: «كتب إلي اسحاق ابن راهويه: لا يهولنك الباطل؛ فإن للباطل جولة، ثم يتلاشى»[(١)].

١٥٥

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: آية ٨٢]

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣٤٢) .

الوارد واحد (القرآن)، والأثر متباين (شفاء ورحمة، خسارة)، والسبب اختلاف حال النفوس (مؤمنين، ظالمين)؛ ففصل ما بين الانتفاع بالقرآن وخسارته تحقق الإيمان!

١٥٦

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: آية ٨٢]

شفاء القرآن عام لكل داء وحيرة، لكن ذلك الشفاء لا يتحقق إلا بالإيمان؛ سعيًا إليه، وتحقيقًا له!

١٥٧

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: آية ٨٢]

ما أبأس شقاء الظالمين! حين يكون الكتاب الذي أنزله الله رحمة للعالمين خسارة لهم! وما ربك بظلام للعبيد!

١٥٨

قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ١٠٩]

البكاء عند تلاوة القرآن واستماعه من أعظم أسباب الخشوع وزيادته!

١٥٩

قال تعالى: ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ١٠٩]

سماع التدبر للقرآن نهر خيرٍ دفَّاق؛ يمد القلب بالخشوع، والخضوع، والرقَّة؛ فيرجع صدى ذلك على العين؛ فتفيض بدموع الخشية.

سورة الكهف

﴿ ١٦٠ ﴾

قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [سورة الكهف: آية ٢٨]

هؤلاء هم من تقوم الدعوة على أيديهم؛ إذ هي أسمى من كل غرض لا يراد به وجه الله!

﴿ ١٦١ ﴾

قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [سورة الكهف: آية ٢٨]

للدعاء الخالص المشروع أولَ النهار وآخره مزيةٌ في الاستقامة والثبات؛ جعلت من أهله قدواتٍ مؤهلين لأمر الله نبيَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بملازمة صحبتهم.

﴿ ١٦٢ ﴾

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [سورة الكهف: آية ٢٨]

متوالية المصائب: غفلة قلب؛ فاتباع هوى؛ فانفراط أمر وضيعته!

كيف يطاع من هذا حاله؟!

﴿ ١٦٣ ﴾

قال تعالى: ﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [سورة الكهف: آية ٢٨]

الغفلة عن الذكر قرين اتباع الهوى؛ ومن ذلك ينشأ ضياع العمر والأعمال، وبضده مَن عَمر الذكرُ قلبَه، وكان الهدى دليله؛ فإن البركة تعمر عمره وعمله.

١٦٤

قال تعالى: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الكهف: آية ٣٦]

من أعظم مخاطر الاستغراق في التلذذ بالنعيم الدنيوي ظنُّ ديمومته الحامل على نسيان ذكر الآخرة أو جحدها، وإن ورد لها ذكر عارضٌ أفسده ذلك الاستغراق بالجزم بحصول نعيم الآخرة؛ قياساً على حصول نعيم الدنيا؛ بل يمعن في الضلال حين يكون هذا القياس عنده قياساً أولوياً مؤكَّداً؟!

١٦٥

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة الكهف: آية ٣٩]

ذِكر الله عند معافسة نعيم الدنيا، وربطُه بمشيئته سبحانه وقوته؛ عاصم من تسرب داء العجب، والبطر، وجحد النعم، ونسيان الآخرة.

١٦٦

قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [سورة الكهف: آية ٤٠]

استشعار المنن الربانية؛ دنيوية كانت أو دينية، ورجاء حصولها؛ عزاءٌ عن كل نعيم دنيوي فائت وإن عظم، وعاصم من مدّ العين إلى المنعَّمين؛ فضلاً عن التملق لهم، واستجدائهم، والخنوع لهم.

١٦٧

قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١﴾

[سورة الكهف: آية ٤١]

المال الحامل على الفساد والطغيان جدير بالدعاء بإهلاكه ومحقه.

١٦٨

قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ [سورة الكهف: آية ٤٢]

سبحان من جعل المحن منحًا! كان عمران جنته سبب طغيانه؛ وصار دمارها سبب إنابته وإحسانه!

يقول ابن تيمية: «مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك نعمة الله»[(١)].

١٦٩

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ [سورة الكهف: آية ٨٥]

لكل مقصود سببٌ موصل له؛ متى وفِّق العبد لاهتداء السبب، وبادر بفعله، وثابر عليه؛ نال الظفر؛ وذلك هو سر النجاح.

١٧٠

قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ [سورة الكهف: آية ٩٧]

قوام بناءِ المنعة الحافظِ بأمر الله: سموٌّ ارتفاعٍ؛ لا يمكن للمتربص أن يعلو

(١) جامع الرسائل ٣٨٧/٩ .

عليه، وإحكامُ بناءٍ؛ لا يمكن لذلك المتربص أن يُنفذ منه .

ومـن تطبيق هذا المبدأ قول ابن حبـان : «إن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرءِ ولدَه وعياله وخدمه، وتوقيه إياهم على المعائب والزلات»[1].

❊❊❊

(١) روضة العقلاء (٩٩) .

سورة مريم

١٧١

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [سورة مريم: آية ٤]

العيش مع تفاصيل الضعفِ والافتقارِ في مقام المناجاة الإلهية الخفية؛ ذِكراً واستشعاراً، من أقوى ما يكسر القلب بين يدي مولاه، ويجعل دعاءه مسموعًا مجابًا.

١٧٢

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [سورة مريم: آية ٩]

استشعر هذه الكلمة الربانية بإطلاق وأنت تنزل حاجتك عنده، وتطلبه قضاءها وإن عظمت؛ فقد قالها الله – سبحانه – إثر سؤال زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ الولد مع انعدام الأسباب الحسية من حصول الولد له؛ لطعن سنه، وعقم زوجه.

١٧٣

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة مريم: آية ٣٢]

بر الوالد سبيل سلامة من الطغيان والشقاء والقسوة؛ وقل أن تجد براً جباراً.

١٧٤

قال تعالى: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [سورة مريم: آية ٥٩]

ثمة ارتباط بين الصلاة والشهوات؛ فبقدر ما ضيّع العبد من الصلاة يكون اتباعه للشهوات، وبقدر ما حافظ على الصلاة تكون عصمته من اتباع الشهوات.

١٧٥

قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ [سورة مريم: آية ٦٥]

ليس عبادةً فحسب؛ بل لا بد من اصطبار عليها . والاصطبار فوق الصبر والتصبر؛ إذ هو تكرار التصبر الذي هو تكلف الصبر.

❊❊❊

سورة طه

١٧٦

قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [سورة طه: آية ٤٠]

الغم عذاب مهلك، لا ينجي منه سوى الله.

١٧٧

قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه: آية ٤٤]

في تلك الوصية الربانية أعظم رجاءٍ في طمع المؤمن أن يحظى برحمة ربه . قرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، فبكى يحيى، وقال: إلهي! هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله؛ فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله؟![1]

١٧٨

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة طه: آية ٤٧]

السلامة والأمان في الدنيا والآخرة كامنان في اتباع الهدى، وبقدر ما حقق العبد من هذا الاتباع يكون أمنه وسلامته في الدارين.

١٧٩

قال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: آية ٥٢]

تعلمك الحياة أن الخلق لو وقفوا معك في شدتك، فعمّا قريب ينسونك ويتخلون عنك؛ فلا تعلق أملك إلا بربك الذي لا يضل ولا ينسى!

---

(١) تفسير البغوي ٥/ ٢٧٥ .

١٨٠

قال تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: آية ٩٧]

تحريق عجل الذهب حين عُبد، ونسف ذراته المحترقة في البحر حتى لا تبقى منها هباءة - أنجع علاج في حسم مادة الشرك من قلوب عابديه؛ فإبطال أسباب الشرك إذهاب لفتنتها .

❊❊❊

سورة الأنبياء

١٨١

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [سورة الأنبياء: آية ١٠]

إن بحثت عن العز والشرف؛ فعليك بالقرآن؛ فهو منجم العز والشرف لمن آمن به، وتعلمه، وعمل به، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين**»(١).

١٨٢

قال تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الأنبياء: آية ٧٨]

أي أثرٍ يُلقي بحسنه على حكم القاضي إن استحضر تلك الشهادة الإلهية على حكمه، وجزاءه المترتب عليها! نظر القاضي شريح إلى رجل يقوم على رأسه وهو يضحك، وهو في مجلس القضاء، فنظر إليه شريح، فقال: تضحك وأنت تراني أتقلب بين الجنة والنار؟!(٢)

١٨٣

قال تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الأنبياء: آية ٧٨]

يا لها من شهادة عظيمة؛ تحمل كلَّ مَن أصدر حكمًا على التجرد وتحري الحق فيه؛ فالشاهد عليه رقيبٌ؛ مطلعٌ على سريرته وتفاصيل حكمه!

١٨٤

قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٧٩]

---

(١) رواه مسلم (٨١٧).

(٢) المجالسة (٤/ ٥٣١).

حسن الفهم منحة ربانية؛ تعلو مرتبة العلم؛ إذ الفهم أخص منه؛ فهو فقه يتوصل به إلى علم غائب بعلم شاهد[1] .

﴿ ١٨٥ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٨٦]

تحقيق الصلاح هو سبيل الدخول في رحمة الله؛ التي من دخلها نال جنة الدنيا والآخرة.

﴿ ١٨٦ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٨٨]

الإيمان بالله هو طوق النجاة الإلهي من بحر الغم المهلك.

﴿ ١٨٧ ﴾

قال تعالى: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٨٩]

في الله جَلَّ وَعَلَا عزاء من كل مفقود، وسلوة من كل فائت، وأمل من غائب.

﴿ ١٨٨ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: آية ١٠٥]

أمر الله الشرعي والقدري الحتمي الذي لا يتغير ولا يتخلف مع مر الأزمان

(١) ينظر: لسان العرب ٥٢٢/ ١٣، مفردات القرآن ٣٨٤ .

واختلاف البلدان؛ أن تحقيق الصلاح والسعي في نشره بين المجتمع سبب رئيس للتمكين ووراثة الأرض؛ كما أنه سبب وراثة أرض الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الزمر: آية ٧٤].

❊❊❊

سورة الحج

١٨٩

قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [سورة الحج: آية ٢٤]

طِيب القول هداية من الله؛ لا ينالها إلا من تفضل الله بها عليه ابتداءً، أو منّ بها عليه بعد استهداء، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم**»(١).

١٩٠

قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ [سورة الحج: آية ٣٨]

دفاع رباني دائم مؤكَّد أمام كل خطر وقوة، فاق حدَّ الدفع، شاملٌ الدنيا والآخرة؛ ليس بين العبد وبين نيله سوى تحقيقه الإيمان، وبقدر ما حقق منه يكون له ذلك الدفاع الإلهي.

❊❊❊

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

سورة المؤمنون

١٩١

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ [سورة المؤمنون: آية ٢٦]

قد يكون الألم سببًا في النصر.

١٩٢

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ [سورة المؤمنون: آية ٢٦]

لا تحزن؛ قد يكون ألمك هو سبب نصرك.

١٩٣

قال تعالى: ﴿وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [سورة المؤمنون: آية ٣٣]

الترف من أعظم ما يصد عن الحق، ويقعد عن النهوض به؛ ولذا كان من أسباب هلاك الأمم والأفراد.

١٩٤

قال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [سورة المؤمنون: آية ٣٤]

تأمل التأكيدات في هذا المقولة الباطلة:

* ﴿وَلَئِنۡ﴾ قسم.
* ﴿مِّثۡلَكُمۡ﴾ تأكيد البشرية.
* ﴿إِنَّكُمۡ﴾ أداة تأكيد للجمع.
* ﴿إِذٗا﴾ تأكيد للحال.
* ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ لام التأكيد مقرونة باسم الفاعل الجمع.
* الجملة جملة شرطية تفيد التكرر.

* العبرة: ليس التأكيد اللفظي يغني عن البرهان.

١٩٥

قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [سورة المؤمنون: آية ٥١]

هناك ارتباط بين أكل الحلال والعمل الصالح؛ فإذا طاب المأكل طاب العمل.

١٩٦

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة المؤمنون: آية ٧٤]

الإيمان باليوم الآخر بوصلةٌ؛ تهدي صاحبها إلى صراط الله المستقيم؛ فلا يميل عنه . و بقدر ما حقق العبد من ذلك الإيمان واستحضاره تكون هدايته لذلك الصراط وثباته عليه، وبقدر ما نقص من ذلك الإيمان واستحضاره يكون ميله.

١٩٧

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة المؤمنون: آية ٧٦]

مقصد الابتلاء بالشدة حصول الاستكانة لله (الذل والخضوع) والضراعة إليه (الدعاء بتذلل)؛ ومن لم يقده البلاء إلى ذلك؛ فقد سد على نفسه منافذ الرحمة، واستحكم به رهق البلاء.

❋❋❋

سورة النور

١٩٨

قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة النور: آية ١١]

بلسمٌ رباني؛ كم فيه من عزاء رغم المصاب؟! وكم فيه من أمل رغم الألم؟! وكم فيه من استعذاب رغم تجرُّع المرارة؟!

١٩٩

قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة النور: آية ٣٧]

ذكرُ الآخرةِ عاصمٌ من الانفتان بالدنيا، وإن عظمت ثرواتها في اليد.

٢٠٠

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النور: آية ٤٤]

بقدر ما حقق القلب من خشية؛ يكون اتعاظه واعتباره بالأحداث.

٢٠١

قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النور: آية ٤٤]

في تأمل صفحات كتاب الكون الفسيح؛ مما حواه من خلق المختلفات، وحسن تعاقبها ازدياد بصيرة القلب، وإشراقه بشمس الاعتبار التي طالما كسفتها كثافة حجب الألفة والمشاهدة.

٢٠٢

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦﴾ [سورة النور: آية ٤٦]

ما أحرى مَن التزم سؤال الهداية من ربه كلَّ يوم وليلة سبع عشرة مرة في الصلوات الخمس بإكرامه بها! ويا ضيعة من ضيّعها!

٢٠٣

قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ [سورة النور: آية ٤٦]

ما أسرع ما تكشف هذه الآياتُ الحقَّ للصادق الباحث عنه!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا افتقر العبد إلى الله، ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ انفتح له طريق الهدى»[(١)].

٢٠٤

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [سورة النور: آية ٤٧]

يبقى الفعل أكبر فاضح للقول إن خالفه وإن زُخرِف، أو أوكِّد، أو كُرِّر!

٢٠٥

قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [سورة النور: آية ٥٠]

أسباب ثلاثة تنطوي عليها نفوس الناكصين عن تحكيم شريعة الله: مرض النفاق القلبي، والشك في كمال شريعة الله، واتهام أحكام الشرع بالظلم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١١٨).

٢٠٦

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ﴾ [سورة النور: آية ٥١]

المنطق الإيماني قبولٌ مطلقٌ بمبدأ التحاكم للشرع دون نظر لنتيجة الحكم، بخلاف المنطق النفاقي الذي يحصر القبول فيما هو له دون ما هو عليه ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة النور: آية ٤٩].

٢٠٧

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة النور: آية ٥٢]

أبصر طاعتك الحالية، وخشيتك من الذنوب السالفة، وعزيمتك على التقوى المستقبَلة؛ فعلى هذه المحطات الثلاث يكون العبور لنزل الفائزين السامي .

٢٠٨

قال تعالى: ﴿۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [سورة النور: آية ٥٣]

عادة المنافق السيئة مواراة سوء فعله بالأيمان الفاجرة المغلظة!

٢٠٩

قال تعالى: ﴿۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [سورة النور: آية ٥٣]

تكلُّف اليمين ابتداءً قد يكون أمارة على الكذب، خاصةً في موضعٍ لا يُحتاج إليها فيه.

٢١٠

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [سورة النور: آية ٥٤]

الهداية ثمرة مضمونة لطاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والضلال عقبى النكوص عنها.

٢١١

قال تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [سورة النور: آية ٥٥]

التوحيد أساس الاستخلاف الذي وعد به الله من حققه.

٢١٢

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة النور: آية ٥٦]

كل الأوامر بالصلاة في القرآن وردت بلفظ الإقامة، إلا في صلاة الخوف في سورة النساء وسورة الكوثر فقد وردت بلفظ الصلاة؛ والأقامة أعم لاشتمال معناها اللغوي على التوفية الذي لا يدل عليه غيره.

٢١٣

قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة النور: آية ٥٧]

تأملْ هذا النهي المؤكد عن ظن إعجاز الكافرين لله؛ فهؤلاء الكفرة على الأرض قاطبة، في أي زمن، مهما بلغ كيدهم وقدرتهم؛ هم في قبضة من لا يعجزونه؛ فليُركن إلى من هم في قبضه؛ فإنه ركن شديد.

٢١٤

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ [سورة النور: آية ٥٨]

أي عفاف ترعاه الشريعة منذ نعومة الأظفار؛ حين يؤدب الطفل على الاستئذان قبل الدخول . وخير سنوات التأديب مبدؤها والعود ليّن.

٢١٥

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

[سورة النور: آية ٦٢]

رحابة الإيمان خلاص من الانكفاء على نظر المصلحة الذاتية الضيق وحظ النفس إن عارضتها مصلحة عامة للمؤمنين؛ وذلك من أدق محكات الإيمان؛ تأمل توالي التأكيد على ربط الإيمان بذلك!

٢١٦

قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [سورة النور: آية ٦٣]

نهي عن المشابهة في المناداة والتكنية؛ فكيف بمن قدم منهج غيره على منهجه؟!

٢١٧

قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [سورة النور: آية ٦٣]

مكشوف في علم الله أولئك الجبناء الذين تدثروا بالإسلام وانسلوا من صفه ومنهجه متوارين خلف لافتات وشعارات دينية مكذوبة خداعة . ومن رأى بنور الله أبصر حقيقة القوم.

٢١٨

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة النور: آية ٦٣]

حين تضطرب الأمور، وتلتبس الحقائق؛ فتِّشْ عن مخالفة أورثت فتنة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [سورة الأنفال: آية ٢٩].

٢١٩

قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ [سورة النور: آية ٦٤]

ما يسرك ظهوره ذلك اليوم فبادر بفعله، وما يسوؤك فتخلص منه بالحذر من المواقعة والتوبة عند الزلل؛ فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

❊❊❊

سورة الفرقان

٢٢٠

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [سورة الفرقان: آية ١]

نعمة الله على عبده تزداد بقدر ما حقق العبد له من عبودية.

٢٢١

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [سورة الفرقان: آية ١]

أي شرف فاق شرف العبودية لله؛ إذ حُلِّي به نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقام اصطفاء الله له بتنزيل خير كتبه عليه.

٢٢٢

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [سورة الفرقان: آية ١]

إطلاق الفرقان على القرآن بصيغة العموم والمبالغة دال على توفيق مُتَّبِعه للصواب في كل ما يُختلف فيه؛ إذ الفرقان بين الحق والباطل فرقان.

٢٢٣

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [سورة الفرقان: آية ١]

ما بلغت العالَمَ نذارةٌ أبلغ من القرآن، وما فاق بلاغَ أهله به بلاغٌ؛ فهلمّ للإنذار به؛ فإن الدنيا عطشى إلى روائه الهنيء.

٢٢٤

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [سورة الفرقان: آية ١]

أي بركـة فاقت بركة القرآن الذي الذي عـمّ الدنيا زمانـًا ومكانـًا بنذارة رجل واحد به؛ فتبارك من نزّله!

٢٢٥

قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [سورة الفرقان: آية ٣]

رسـوخ هذه الحقيقة في القلب يقطع تعلقه بالخلـق رغبة ورهبة؛ إذا كانوا لا يملكون لأنفسهم نيل الخير أو دفع الضر؛ فكيف يملكونه لغيرهم؟!

٢٢٦

قـال تعالـى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [سورة الفرقان: آية ٤-٥]

تناقض الكفار في وصف القرآن ينبيك أن المكذب بالحق لا بد أن يتناقض، كما قال الله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾ [سـورة ق: آية ٥]، أي: مضطرب.

٢٢٧

قـال تعالـى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [سورة الفرقان: آية ٦]

مع بشـاعة جريمـة تكذيبهم بالقرآن الـذي يوقنون بصدقـه، وتهديد الله لهم بعلمه الأسرار كلها؛ يدعوهم إلى التوبة باسميه «الغفور» «الرحيم»!

٢٢٨

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [سورة الفرقان: آية ٨]

هكذا حال رافضي الحق بعد اتضاحه؛ ما يفتأون يختلقون الأعذار الواهية في ردهم إياه؛ فأي اقتران بين بشرية الرسول وثرائه وبين الحق الذي جاء به؟!

٢٢٩

قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾ [سورة الفرقان: آية ٩]

أسوأ الضلال ذاك الذي بُني على أساس متناقض من الكذب.

٢٣٠

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾ [سورة الفرقان: آية ١٠]

وماذا يزن نعيم القصور والجنات والأنهار عند نعيم معرفة مالكها ومسديها والتلذذ بالعبودية له والافتقار إليه سبحانه، فلو كان شيء من النعيم يفوقه لاختاره الله لخليله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٣١

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ [سورة الفرقان: آية ١١]

التكذيب بالقيامة أكبر حامل على مقارفة الافتراء والظلم والسدور في غيها.

٢٣٢

قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ١٢]

إنما كان غضبها بشركهم بالله؛ فمن رام الأمان من ذلك الغضب فليتشبث بعروة التوحيد.

٢٣٣

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [سورة الفرقان: آية ١٣]

يكفي أن يكون الضيق عذاباً؛ فكيف مع غلّ الأيدي إلى الأعناق وتصلية الجحيم؟!

٢٣٤

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [سورة الفرقان: آية ١٣]

كم كانوا في الدنيا يحبسون المؤمنين ويقيدونهم في سجونهم؛ فهاهم يذوقون جنس الجزاء مع عظيم الفارق بين العذابين.

٢٣٥

قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ١٦]

ليس بين العبد وبين إنجاز الله له هذا الموعد إلا أن يدخل في زمرة المتقين.

٢٣٦

قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ١٧]

لعظيم الجرم قدّم السؤال عن الإضلال على سؤال الضلال.

٢٣٧

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [سورة الفرقان: آية ١٨]

كثيراً ما تكون النعمة - خاصة الموروثة - سبباً في نسيان المنعم؛ والشكر عاصم من ذلك النسيان.

٢٣٨

قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [سورة الفرقان: آية ١٩]

من أشد مؤلمات النفس وأوقعها خذلاناً تكذيبُ معظَّمٍ لمن عظمه في موطن شدة ينتظر فيه نصرته.

٢٣٩

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٠]

هكذا كان الأنبياء يكسبون بأيديهم، أحراراً من منن الخلق . وهكذا ينبغي أن يكون أهل الدعوة.

٢٤٠

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٠]

غياب استحضار هذا الاختبار، وضعف الصبر عليه يحمل الأكثر على الإخفاق فيه في ضرائهم وسرائهم.

٢٤١

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ [سورة الفرقان: آية ٢١]

ذكر الآخرة أعظم عاصم من الكبر الذي يحمل صاحبه على فعل القبيح وقوله.

٢٤٢

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٢]

كانوا يطلبون رؤية الملائكة عناداً؛ وفي وقت الاحتضار يرونهم بهذه الخيبة التي لا خير وراءها.

٢٤٣

قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٣]

ما أفدح الشرك! صيّر تلك الأعمال - وإن عظم جهدها وراق منظرها - هباء منثوراً؛ يجمع الحقارة، والتفرق، وعدم القدرة على الانتفاع به.

٢٤٤

قال تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٤]

عمّم الحال: ﴿خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾، وخص القائلة؛ لأنها وقت ابتداء دخول أهل الجنةِ الجنةَ: ﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾، كما جاء عن بعض السلف أن حساب المؤمن

ينتهي نصف النهار – وهو القائلة –؛ أخذاً من هذه الآية[1].

٢٤٥

قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٦]

أي بشرى للمؤمن هذه البشرى؛ حين لا يكون عسر يوم القيامة إلا خاصاً بالكافرين!

٢٤٦

قال تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٩]

خاصةُ الأصدقاء هم أبرز أسباب ضلال المرء؛ إذ لم يبدِ الظالم سبباً غيره، كيف وقد أكدّه!

٢٤٧

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٠]

هموم دعوتك – أيها الداعية – لن تجد من يسمع معاناتها وبثَّ شكواها سوى ربك القريب المجيب، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣١].

٢٤٨

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الفرقان: آية ٣١]

لن تنفك دعوة على هدي النبوة من عداوة المجرمين، ولكن ربها هو ناصرها؛ إذ هو غايتها ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣١].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٤).

٢٤٩

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٢]

القرآن أعظم مثبّت للقلوب، وكاسب ليقينها إن تُدرِّج في دراسته، وأحسن ربط الأحداث به.

٢٥٠

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٣]

أي إعجاز قرآني تبدّى في هذا التحدي الإلهي المطلق الذي جاء بصيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرار[١] المستوعب للحاضر والمستقبل ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾؛ بالجواب الذي جاء بصيغة الفعل الماضي المحصور الدال على يقين التحقق واستباقه[٢] ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الذي يدمغ الباطل، وبأجلى بيان يبينه اللفظ كما يبينه الواقع والمستقبل ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾. فاللهم افتح لنا من ذخائر كتابك ما تثبت به قلوبنا وتصوب به أقوالنا وأفعالنا ومواقفنا!

٢٥١

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٤]

طالما شمخت أنوفهم على قبول الحق، وتطاولت رؤوسهم كبرياءً؛ فهاهم يحشرون إلى النار قسراً يوم القيامة أذلة على وجوههم؛ «أليس الذي أمشاه على

(١) مغني اللبيب (١٨٤).

(٢) شرح مراح الأرواح (٤٧).

رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»[1]، والجزاء من جنس العمل.

٢٥٢

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٤]

مادام مكانهم شر الأمكنة؛ فإن الطريق الموصل إليه هو أضل السبل وأنكدها.

٢٥٣

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٥]

من أعظم المنن أن يسخر الله الأخ القريب معيناً لأخيه في دعوته إلى الخير.

٢٥٤

قال تعالى: ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٨]

قرون التكذيب المتطاولة أفناهم الهلاك، وغدوا ذكراً وعبراً وتاريخاً، وبقي الحق ثابتاً موروثاً. فهل بعد ذلك شك في نصرة الحق وبقائه وإزهاق الباطل واضمحلاله؟!

٢٥٥

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٣٩]

قبل الإهلاك والتتبير قدّم الإعذار منوّعَ الأسلوب مخصوصاً به صاحبُه؛ إذ ما من أحد أحب إليه العذر من الله.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠) ومسلم (٢٨٠٦).

٢٥٦

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٠]

الغفلة عن الآخرة أعظم أسباب قسوة القلب الذي لا تجدي معه رؤية الآيات والعبر وإن أبصرها عياناً.

٢٥٧

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [سورة الفرقان: آية ٤١]

الاستهزاء هو الأسلوب الأبرز الذي كان يعامل به المشركون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما رأوه . ولأتباعه مع خصوم دعوته تلك السنة الموروثة.

٢٥٨

قال تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٢]

هكذا تزلزل دعوة الهدى الصادقةُ القناعاتِ الباطلة التي تستدعي من أهلها شدة المقاومة والمصابرة؛ لئلا تتهاوى عروشها في نفوسهم، فكيف مع غيرهم من غير المكابرين؟!

٢٥٩

قال تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٢]

وهم على باطل يصبرون! أفلا يكون أهل الحق أجدر بذلك الصبر، وأقدر عليه؛ كيف والله معهم معين وناصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٣]؟!

﴿ ٢٦٠ ﴾

قال تعالى: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٢]

هكذا ينتكس فهم الحقائق عند المبطلين؛ إذ كيف تُجعل دعوة التوحيد إضلالاً عن الشرك؟!

﴿ ٢٦١ ﴾

قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

[سورة الفرقان: آية ٤٣]

ما دام الهوى مستحكماً في القلب، ومسيِّراً لصاحبه؛ فلا رجاء في هدايته؛ فالهوى والهدى ضدان لا يجتمعان.

﴿ ٢٦٢ ﴾

قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٣-٤٤]

الهوى شؤم؛ يسلب من صاحبه الانتفاع من أدوات الوصول للحقيقة المتاحة له.

﴿ ٢٦٣ ﴾

قال تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٤]

لا يترفع الإنسان عن وصمة الحيوانية إلا باستجابته لله، فإن أعرض فالحيوان خير منه!

﴿ ٢٦٤ ﴾

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٥]

هذه سنة كونية؛ أن الأشياء تبين بأضدادها.

٢٦٥

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٦]

ما الظل إلا صورة يومية مذكرة بحقيقة هذه الحياة التي تبدأ، ثم تمتد، ثم تنقص، ثم تفنى، كما هو الظل.

٢٦٦

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٧]

هل بقيت لحظة أو خلا حال من منة لله سابغة؟!

٢٦٧

قال تعالى: ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٩]

لعل في تقديم ذكر سقاية البهائم بالمطر على الإنسان تنبيهاً على أن ذنوب الناس أبرز موانع القطر؛ كما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولولا البهائم لم يمطروا**»(١).

٢٦٨

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٠]

من أعظم مقاصد تفاوت الأمطار بين البقاع حصول التذكر؛ الذي يوجب على الممطور الشكرَ، وعلى الممحل الاستغفارَ.

٢٦٩

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٥١]

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٨٢) وصححه.

اختار الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأكمل وإن كان أشق؛ إذ جعله نذيراً للثقلين كافة، و لم يبعث معه نبيـاً.

٢٧٠

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٢]

نهيـاً عامـاً؛ يعم صغير الأمر وكبيره؛ صونـاً لحمى دعوته، وسـلامة منهجه، ونقاء صفائه.

٢٧١

قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان: آية ٥٢]

مهما استطيل الطريق، وأعيى رهقُه، وتوارت عن النواظر علائم النصر؛ فإنه جهاد كبير، ميدانه القرآن، كما هو السـندُ والزاد لأهل الحق في هذا الجهاد؛ فأنّى لكللٍ أن يعتريه، أو مللٍ يقطعه، أو شكٍ يُنكِص على العقب.

٢٧٢

قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٢]

القـرآن موطـن جهاد الكافرين، وسـلاح الداعية وزاده في ذلـك الجهاد؛ ويا خسارة من زهد في هذا السلاح والزاد!

٢٧٣

قال تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٣]

أي قـدرة تمنـع امتزاج المائيـن الملتقين في بقعة واحدة وهمـا متباينا الطعم سوى قدرة الخالق سبحانه!

٢٧٤

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٤]

أي ارتباط بين ذلك الماء المهين وهذا الخلق المتناسل الذي عمر الأرض على مر الدهور؟!

تلكم القدرة الإلهية العجيبة ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٤].

٢٧٥

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٥]

هذا دأب عدواة الكافر مع ربه؛ حين ظاهر الشيطان على معصيته؛ فباء بالخذلان والهزيمة.

٢٧٦

قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٥]

تنكير منفي عام ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ هكذا يريد الله أن تكون الدعوة إليه مجردة من كل حظ حسي أو معنوي سوى إرادة وجهه الكريم؛ وذلك سر نفعها وبركتها وقبولها.

٢٧٧

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٥]

وأين ذكر المؤمنين هنا؟ إنهم في ضمان الرب الذي أفردت الآية مظاهرة الكافر للشيطان عليه؛ فالمعركة حيئذ معركته، وعاقبة النصر الإلهي حتمية الوقوع مادام المؤمنون مستمسكين بحبل ربهم.

٢٧٨

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٦]

ذلكم مقصد الرسالة، ووظيفة الرسل التي لأجلها بعثوا؛ بشارة المطيع، وإنذار العاصي؛ وذلك بعد بيان الحق. والبشارة دوماً هي المقدَّمة في القرآن. وللدعاة أسوة في الرسل.

٢٧٩

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٨]

هل ثمّ كفاية لا يعتريها نقص أو فناء؛ كيما يأرز إليها العبد في توكله، سوى كفاية الحي الذي لا يموت؟!

٢٨٠

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٨]

اللهم كما قدّرت ذنوبنا، وخبرتها، وسترتها؛ فاغفرها يا خير الغافرين!

٢٨١

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٨]

حسن التوكل على الله، وتسبيحه المقرون بحمده من أعظم مكفرات الذنوب.

٢٨٢

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ٥٩﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٩]

هذا من يُسأل عن الله جَلَّ وَعَلَا، ويستفتى عن دينه، وهل ثم خبير يفوق محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

٢٨٣

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٨-٥٩]

أمر الله بالتوكل عليه بالتعليل المقنع بكفايته؛ وذلك من خلال أمور أربع غير ممكنة لما سواه:

١. وصف حياته التي لا يعتريها نقص، ولا يلحقها عدم.
٢. علمه الدقيق بذنوب عباده الذي يكفرها التوكل عليه وعبادته الدال التسبيح على معناها وغايتها وشمولها.
٣. ذكر بعض خلقه العظام في وقت يسير «السموات - الأرض - الكون»، وهكذا ذكر العرش الذي هو أول المخلوقات وأعظمها.
٤. ذكر رحمته العظيمة الشاملة «الرحمن»؛ وهل يظن بالرحمن تضييع من توكل عليه؟!

٢٨٤

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٠]

الامتناع عن السجود أعظم ما يزيد العبدَ نفوراً من ربه وبُعداً، وامتثاله أعظم ما يقرب العبد من ربه، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [سورة العلق: آية ١٩].

وكان سفيان الثوري يقول: إلهي زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً[١].

(١) تفسير الثعالبي (١٩/ ٤٥٢).

٢٨٥

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٦١]

ضخامة خلق ونفع كمنت في هذه السماء وما تحويه، حجبتنا الألفة والغفلة عن تبصرها . هذا جزء من خلق الله؛ فكيف بالخالق سبحانه؟! تبارك الله أحسن الخالقين!

٢٨٦

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٢]

العيش التأملي مع المداولة اليومية لليل والنهار من أخصب مواطن التذكر والشكر.

٢٨٧

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٣]

هكذا تدل الهيئة الظاهرة الدائمة على الحال الباطن؛ فمشية عباد الرحمن بالهون إمارة على طمأنينتهم وتواضعهم.

٢٨٨

قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٣]

هذا هو فن التعامل مع خطاب السفيه؛ الإعراض المسالم؛ فالدخول في مقاولته خسارة للوقت والجهد والخلق والموقف، وربما وصلت الخسارة للدين.

﴿ ٢٨٩ ﴾

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٤]

ما عمر الليل بعمل كالصلاة الخالصة لله. ويتحقق ذلك بركعتين بعد صلاة العشاء. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من صلى بعد العشاء الأخرة ركعتين أو أكثر؛ فقد بات لله ساجداً وقائماً»(١).

﴿ ٢٩٠ ﴾

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٤]

انظر كيف قدم الإخلاص بصيغة الحصر ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ قبل العمل ﴿سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾.

﴿ ٢٩١ ﴾

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٥]

ذكر النار والخوف منها من أعظم ما يحمل المؤمن على العمل الصالح، وعدم الاغترار به؛ ولذا ذكر الله دعاء عباده بهذا الدعاء بعد وصف بياتهم بالصلاة.

﴿ ٢٩٢ ﴾

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٥]

ذِكر النار والخوف منها من أعظم ما يحمل المؤمن على العمل الصالح، وعدم الاغترار به؛ ولعل ذلك من أسباب ذكر الله سؤال عباده إياه بهذا الدعاء بعد وصف بياتهم بالصلاة.

---

(١) تفسير البغوي (٦/ ٩٤).

٢٩٣

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٥]

تأمل حسن رجائهم بالله، وقوة تعلقهم به، ونسيانهم الاعتماد على صالح عملهم؛ إذ جعلوا الأصل ملاقاة النار ما لم يصرفها الله عنهم.

٢٩٤

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦﴾

[سورة الفرقان: آية ٦٦]

تأكيد حال النار في طلب الاستجارة منها، يبين أنه كلما كان المرء بالحال أعلم كان لسؤاله أعظم.

٢٩٥

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٧]

لله هذا الدين! يعلمنا حسن الاقتصاد كما يعلمنا حسن الاعتقاد!

٢٩٦

قال تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١﴾ [سورة الفرقان: آية ٧١]

العمل الصالح المقارن للتوبة من أقوى دلالات صدقها، وأصلب أسباب ثباتها؛ تأمل التأكيد القرآني: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١﴾:

- ﴿يَتُوبُ﴾ فعل مضارع دال على الاستمرار والثبات.
- ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ حصر دال على الصدق والإخلاص.
- ﴿مَتَابًا﴾ مصدر مؤكد لحقيقة التوبة.

٢٩٧

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٢]

إذا كان هـذا حالهـم مع اللغو العـارض؛ فاللغو المقصـود إذاً غير وارد لهم على بال؛ وذلك من مقتضى أخذهم الكتاب بقوة.

٢٩٨

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٢]

هكذا يُنتج طلبُ الكرامة سموَّ النفس حتى في المواقف العارضة التي لا تطول.

٢٩٩

قـال تعالـى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٣]

هكـذا الإيمان يربي أهله على البصيـرة، والتحقق في الأمر، وإن كان ذلك في العبادة المأمور بها.

٣٠٠

قـال تعالـى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٣]

إحضار القلب شرط للانتفاع من الذكرى، وحصول أثر العبادة.

٣٠١

قـال تعالـى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٤]

صلاح الـزوج والولد من أعظم الهبات الربانية التي تقر بها العين، وسـبيلها الدعاء الدائم بذلك.

٣٠٢

قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٤]

أي همة سمت بتلك النفوس في أهدافها ودعائها حين دأب أهلها على سؤال ربهم أن يجعلهم قدوات لخلّص عباده وهم المتقون؟!

٣٠٣

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٥]

الصبر معراج الجنة، وسُلَّمُها الذي به تكون الغرفات .

٣٠٤

قال تعالى: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٥]

الاسـتقبال بالتحية والسلام[1] عند دخول الجنة يدل على أن ذلك من أعظم ما يُكرم به المستقبَل، ويدخل السرور عليه، ويطيب له به المقام.

٣٠٥

قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾ [سورة الفرقان: آية ٧٧]

ما ثمّ إلا الإيمانُ سببٌ لنيل شـرف الاهتمام الإلهي، وبزيادة الإيمان تزداد تلك الرعاية الربانية.

---

(١) فائدة: الفرق بين التحية والسـلام : التحية أعم من السـلام من حيث اللفظ؛ لاختصاص السـلام بلفظ السـلام وما اشـتق منه، بخلاف التحية التي تشـمل التعبير عن كل ما يحسـن به الحال . ينظر: الفروق اللغوية للعسكري (١١٩) .

سورة الشعراء

٣٠٦

قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [سورة الشعراء: آية ٣]

حمـاس الداعية وقود دعوتـه، ولا بد من ضبطه بالأمر المشـروع؛ وإلا فقد يودي بصاحبه للهلاك.

٣٠٧

قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤﴾ [سورة الشعراء: آية ٤]

الإيمان الشـرعي ذو الحقيقة والأثر ما كان عن اختيار، أما الإيمان القسـري فلا ينتج أثراً، ولا ينم عن حقيقة.

٣٠٨

قـال تعالى: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥﴾ [سـورة الشعراء: آية ٥]

إنما تشرق شمس الهداية القرآنية في سماء الإقبال عليه.

٣٠٩

قال تعالى: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ﴾

[سورة الشعراء: آية ٥-٦]

من أعرض عن شيء، ولم يقبله؛ فهو مكذب له.

٣١٠

قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ٧﴾ [سورة الشعراء: آية ٧]

الأصـل في الآدميين الكرامة؛ إذ هم من نبـات الأرض ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [سورة نوح: آية ١٧]، وإنما يخرجهم من أصل الكرامة العصيان.

٣١١

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ [سورة الشعراء: آية ٧]

ليست الكثرة معياراً ذاتيـًا على الحق.

٣١٢

قال تعالـى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ [سورة الشعراء: آية ٧-٨]

نبْتُ الأرض شاهدُ قدرةٍ إلهية؛ تروّي القلب بالإيمان إنْ تملّاها ببصيرة.

٣١٣

قال تعالى: ﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ [سورة الشعراء: آية ١٠]

الأصل في داعية الحق أن يأتي المدعوين؛ لا أن يُؤتى.

٣١٤

قال تعالى: ﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١﴾ [سورة الشعراء: آية ١٠-١١]

مهما تمادى الظالم في طغيانه، واستلجّ فيه؛ فلا بد من إسماعه الحق؛ فلربما استجاب لداعي التقوى.

٣١٥

قال تعالى: ﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١﴾ [سورة الشعراء: آية ١٠-١١]

وضوح حال المدعو من أعظم ما يعين الداعي على حسن دعوته، وتحمّل أعبائها.

٣١٦

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ١٢-١٤]

حيـن يعيش الداعية همّ دعوته بصدق وإخلاص؛ فإن حظوظ نفسـه تتوارى عن أولوياته . تأمل كيف قدّم الاحتراز لدعوته ﴿أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ على نفسه ﴿أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾.

٣١٧

قال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [سورة الشعراء: آية ١٣]

إذا ضاق الصدر انحبس اللسان.

٣١٨

قال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [سورة الشعراء: آية ١٣]

ضيـق صدر الداعية قيْدٌ، كثيراً ما يعيقه مـن المضي في إبلاغ دعوته، ومن ثم وجب على الداعية مباشـرة الأسـباب التي يكون بها انشـراحه صدره، والتي يأتي في مقدمها الصلاة، والدعاء، واستشـعار الأجر، وملازمة الصبر، ومطالعة حسـن العاقبة، وما تجمّ به النفس من المباحات.

٣١٩

قال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [سورة الشعراء: آية ١٣]

ضيق الصدر قيد يمنع الداعية من المضي في إبلاغ دعوته؛ وعلاجه التسـبيح

المقرون بالحمد والصلاة ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٩٧-٩٨].

٣٢٠

قال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [سورة الشعراء: آية ١٣]

من أعظم أسباب نجاح الداعي في دعوته انشراح صدره؛ إذ ضيقه حابس عن العطاء والبذل، بل وعن البيان!

٣٢١

قال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ١٥]

حفْظُ اللهِ الداعيَ إليه ما دام متجرداً لدعوته، مستمسكاً بآياته ووحيه، نابذاً الفرقة مع إخوانه دعاة الصدق.

٣٢٢

قال تعالى: ﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ١٧]

من مقاصد إرسال الرسل تخليص العباد من رق استبداد طغاة العباد.

٣٢٣

قال تعالى: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ١٩-٢٠]

تصيد الطغاة هفوات الدعاة إبان ضلالهم - ومن باب أولى ما كان حال اهتدائهم - أسلوب قديم؛ للتشنيع عليهم وتشويه دعوتهم، ولا يضير الداعية اعترافه بها وتوظيفها في بيان نقلة الاهتداء التي منّ الله بها عليه.

٣٢٤

قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢١]

الظواهر لا تأسر الحال، نبوة ورسالة قاد إليها هروب وخوف.

٣٢٥

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ١٨] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٢]

ملكة المقارنة الصحيحة القائمة على التفريق بين الجزئي والكلي، والمصلحة والمفسدة؛ من قواعد بناء الوعي الناضج؛ فما مدى مقابلة رعاية فرد إزاء استعباد أمة؟!

٣٢٦

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ١٨] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٢]

من أساليب تغييب الوعي الإغراق في الجزئيات وإهمال النظر في الكليات والأوليات.

٣٢٧

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٧-٢٨]

العبارة الجارحة في شخصية الداعية، والتهكم برسالته؛ لا تعيقه عن المضي في إبلاغ دعوته. تأمل مضي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في إبلاغ رسالته إثر عبارات التهكم الفرعونية.

٣٢٨

قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٩]

هكذا الطغاة حين يلجمهم الحق؛ يضيقون به ذرعًا، ويهرعون إلى إرهاب دعاته بالبطش والقوة.

٣٢٩

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٣٤]

حين يفقد المبطل البرهان على قوله؛ فإنه يلجأ إلى تقويته بالمؤكدات اللفظية التي لا تروج إلا على مغفل.

٣٣٠

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [سورة الشعراء: آية ٣٥]

هكذا دأب الطغاة في مقاومة دعوة الحق؛ إذ يصمون دعاتها باتخاذها غطاءً تكمن وراءه أغراض فاسدة.

٣٣١

قال تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٣٥]

هكذا تلطف فرعون مع ملئه حين شعر بالخطر على عرشه.

٣٣٢

قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٣٧]

هكـذا تدبيـره في إبطال الحـق؛ فكان ما دبّره سـبيلاً لإحقـاق الحق وإزهاق الباطل؛ إذ كان كيد الله من وراء كيده!

٣٣٣

قـال تعالـى: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٤١-٤٢]

المـال والجاه شـراك يُتصيَّد بها الأجـراء الذين ليس لهم غـرض إلا ما يملأ جيوبهم ويشبع زيف جاههم.

٣٣٤

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٥٠]

ذكر المنقلب إلى الله عزاء؛ يهوِّن كل جلل، ويعوِّض من كل فائت.

٣٣٥

قبل سـويعات كانـوا يقولـون: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ [سـورة الشـعراء: آيـة ٤١]، **فلما آمنـوا قالـوا:** ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٥١].

لاعجـب! هكذا يعمـل الإيمان عملـه في القلوب؛ رفعـاً للقيم، واسـتبصاراً للحقائق.

٣٣٦

قال تعالـى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٥١]

في ذكـر الرجوع إلى الله، ورجاء أجره أقـوى العزاء من كل فائت، وإن كانت المهج والنفوس.

٣٣٧

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٥١]

المبادرة في الطاعة من أسباب المغفرة.

٣٣٨

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء: آية ٥٣-٥٦]

من أسـاليب تشـويه دعوة الخير ودعاتها أمام النـاس، وحملهم على النفور عنها: الاحتقار، وهالة مخالفة الغالبية، والطعن في المقاصد، والتحذير .

٣٣٩

قال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٦٢]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [سورة يوسف: آية ٨٧]

قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٥٦]

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: آية ٢٢]

قال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: آية ٤٠]

هكذا الأنبياء؛ لا تزعزع الكروب - مهما ادلهمت - ثقتهم بالله جَلَّ وَعَلَا!

٣٤٠

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٧٠]

الأسئلة الموضوعية المفتوحة من خير ما يفتتح بها المُناظِر مناظرته، ويعلم ما لدى مناظره من عمق وإحاطة.

٣٤١

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٧٧]

هكذا العقيدة؛ لا تحتمل الغمغمة في العبارة، والتلبيس في المعنى؛ استرضاءً للعواطف، واستئلافاً للنفار.

٣٤٢

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٨٠]

أي رجاء في الشفاء تفتحته هذه الآية في قلوب المرضى؛ حين يوقنون أن الشفاء بيد من قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾! [سورة غافر: آية ٦٠]

٣٤٣

قال تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: آية ٨٣]

سؤال الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ربَّه اللحاقَ بركب الصالحين - مع أنه قائد هذا الركب وإمامه - يشي بعظيم ما قام في قلبه من تواضع، وافتقار، وانكسار لله عَزَّوَجَلَّ.

٣٤٤

قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٨٤]

لعل من أسرار طلب الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جعل الثناء له بعد موته؛ رجاء سلامة

الاغترار بهذا الثناء أثناء الحياة.

٣٤٥

قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [سورة الشعراء: آية ٨٤]

لن يبقى من الثناء إلا لسان الصدق الذي يجعله الله لعبده؛ أما الثناء المأجور فمآله للذهاب.

٣٤٦

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [سورة الشعراء: آية ٨٩]

إذا كانت معقد النجاء يوم القيامة محصوراً في سلامة القلب؛ فهو أول وأولى ما يجب الاهتمام به، ومعالجة آفاته.

٣٤٧

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩﴾ [سورة الشعراء: آية ٩٩]

أحق الناس بوصف الإجرام أخطرهم جريمةً؛ وهو من كان سبباً في إضلال الخلق.

٣٤٨

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [الشعراء: آية ١٠٩]

قطعٌ باتٌّ لأي مطْمع في مكاسب الدعوة - وإن دقت -، سوى ابتغاء الأجر من الله؛ هكذا كان تجرد الأنبياء في دعوتهم! وبذلك يغدو الأجر من الله عزاءً لكل فائت.

٣٤٩

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [سورة الشعراء: آية ١٠٩]

قصْـر الداعية طمعه في أجر ربه أعظمُ حاملٍ له على الإخلاص، وعلى زهده ممـا في أيدي الخلق . هكذا جرّد الأنبياء دعوتهم من طلب الحظوظ الدنيوية وإن دقت.

٣٥٠

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [سورة الشعراء: آية ١١١]

مـن أعظم ما يصد عن الحق صرف النظر عن التأمل فيه، وجعل معيار قبوله متعلقـًا بقائله أو التابعين له .

٣٥١

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾ [سورة الشعراء: آية ١١٧-١١٨]

معصية الظالم أنجح أنصار المظلوم؛ إذ كانت أقوى أسباب إجابة دعوته.

٣٥٢

قال تعالى: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩﴾ [سورة الشعراء: آية ١٢٩]

الغايـة هـي الحاكمة على صوابية الفعل؛ إذ لم يفدهـم فراهة البناء في الطرق (الريع) وبناء صهاريج المياه الضخمة (المصانع)؛ حين كانت غايتهم منها العبث والتفاخر.

٣٥٣

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢١٨-٢١٩]

الصلاة موطن نظر الرب لعبده وحفاوته به؛ فلا تحرم نفسك ذاك الشرف، وأعط الموقف حقه؛ فإنه موقف عظيم!

٣٥٤

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٢١-٢٢٢]

أمداد شيطانية متوالية تفسِّر جَلَد الفجرة الذين امتهنوا ترويج الكذب واقتراف المآثم!

٣٥٥

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٢١-٢٢٢]

امتهان الكذب وكثرة مقارفة المآثم مغناطيس يجذب الشياطين لأوليائها، ويجلب أزَّهم لهم.

٣٥٦

قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٢٤-٢٢٥]

الخوض في كل فن بمجرد البراعة اللفظية دون علم تيهٌ، لا ينجذب إليه إلا الغواة.

٣٥٧

قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: آية ٢٢٧]

تنكير عاقبة الظالمين وعيد فظيع؛ بسوء جزائهم . فيالله! كم للمظلوم في هذا من سلوة وعزاء؟! وكم فيه على المظلوم من حسرة وعناء؟!

قال عبدالله بن رباح: «كان صفوان بن محرز إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أرى أن قصص زوره سيندقّ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾»[(١)].

وكان القاضي شريح إذا خرج للقضاء يقول: «سيعلم الظالمُ حظَّ مَن نقص؛ إن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر»[(٢)].

٣٥٨

قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٢٧]

مهما مُدَّ للظالم؛ فإن له مرجعًا وخيمًا؛ ينسى به نعيمه، ويبقى عليه شؤم ما ظلم.

٣٥٩

قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢٢٧]

تنكير فظيع لعقبى المظالم؛ تحذيراً للظالمين من وخيم عاقبة ظلمهم، وتسليةً للمظلومين، وبلسمًا لجراحهم وآلامهم.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٥)

قصص الزور: ملتقى الأعظم وسط الصدر . ينظر: الفائق (٣/ ٢٠٧)، التلخيص للعسكري (٦٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ١٨٥) .

سورة النمل

٣٦٠

قال تعالى: ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [سورة النمل: آية ١-٢]

بقدر ما يكون الإيمان تكون هدايات القرآن وبشائره.

٣٦١

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤﴾ [سورة النمل: آية ٤]

الإيمان بالآخرة عصمة من تزيين سوء العمل، وبقدر ذلك الإيمان تكون تلك العصمة؛ وجوداً وعدماً، قوة وضعفاً.

٣٦٢

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤﴾ [النمل: آية ٤]

الإيمان بالآخرة، ودوام استحضار ذكرها عصمة من تزيين سوء العمل والعَمَه في دركاته!

٣٦٣

قال تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤﴾ [سورة النمل: آية ٤]

الاضطراب في الضلال، واصطلاء التخبط في متاهته ثمرةُ علقمٍ من شؤم تزيين سوء العمل.

٣٦٤

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة النمل: آية ٤-٥]

ثمة علاقة بين تزيين السوء في الدنيا وسوء العذاب في الآخرة؛ إذ تزيين سوء العمل سبب لسوء العذاب.

٣٦٥

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: آية ١٥]

من أخص سمات نفع العلم صاحبَه استشعاره منيحة الله الفضل له بالعلم من دون استحقاق، واللهج بالثناء عليه بذلك، وإظهار الافتقار له.

٣٦٦

قال تعالى: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [سورة النمل: آية ٣٦]

هكذا تتحطم على حجرة المبادئ الدينية ضرباتُ الإغراء والاستمالة الدنيوية دون أن تترك أثراً سوى تقوية تمكّن هذه المبادئ في القلب، واستشعاره منّة الله بها، واستعلائه بها عن حطام الدنيا.

٣٦٧

قال تعالى: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [سورة النمل: آية ٤٢]

من إمارة وفور عقل المرء إيجاده خطوط رجعة فيما غلب على ظنه، ولم يقم لديه دليل جازم بصحته.

٣٦٨

قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة النمل: آية ٧٩]

يقين المرء بالحق الذي يدعو إليه، ويسير في طريقه؛ أعظم حامل له على تحقيق التوكل على الله واستمطار ثماره؛ وبقدر ذاك اليقين يكون التوكل.

٣٦٩

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: آية ٨٩]

من رام الأمن من أهوال الآخرة، وحسنَ الجزاء يوم الدين؛ فليقدمْ حسنة الأعمال من التوحيد والعمل الصالح.

❊❊❊

سورة القصص

٣٧٠

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة القصص: آية ٤]

تفريق الناس لأغراض لم تقرّها الشريعة من ضروب الإفساد، وسمة من سمات أهله.

٣٧١

قال تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

[سورة القصص: آية ١٣]

اليقين بوعد الله من أشرف العلوم التي لا يكرم الله بها إلا خاصة عباده .

٣٧٢

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة القصص: آية ١٤]

الإحسان سبب طِيب الذكر بين الخلق، وبقائه بعد فناء أهله . تأمل تكرار: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾، واقترانها بترك الذكر الحسن في الآخرين - والحاضرين المعايشين من باب أولى - في سورة الصافات أربع مرات لأنبياء الله نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ. ومثل ذلك الجزاء يُجزى كل محسن بقدر ما حقق من إحسان التعامل مع الخالق والخلق.

٣٧٣

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

[سورة القصص: آية ٢٢]

حسن الظن بالله مع بذل الأسباب بوصلة دالة على الحل الصحيح عند

الخفاء أو الاشتباه. قال ابن عباس: «خرج موسى متوجهًا نحو مدين، وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه؛ فإنه قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ [سورة القصص: آية ٢٢]»[1].

٣٧٤

قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾ [سورة القصص: آية ٢٣]

هكذا هم أهل الإحسان! لا تشغلهم الخطوب والمتاعب عن بذل المعروف وإن كان في موقف عابر.

٣٧٥

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: آية ٢٣-٢٤]

هكذا هم أهل الإحسان؛ يطّردون في إحسانهم في أدق التفاصيل بإخلاص وإن قست ظروفهم؛ خوف، وهرب، وغربة، ونصب سفر، وإحسان لضعفة مجهولين لا يرجى منهم رد الجميل، وتباعد من مكان الإحسان.

٣٧٦

قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [سورة القصص: آية ٢٤]

بالجمال ذلك الإحسان الذي توارى صاحبه عن نظر من أحسن إليه؛ إذ جمع بين الإحسان وحفظ الكرامة.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٩٩.

٣٧٧

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة القصص: آية ٢٥]

من أحسن ما يُقابَل به المهموم تمكينه من بث معاناته، وحسن الإصغاء لها، وتطمينه من المخاوف.

٣٧٨

قال تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: آية ٣٥]

تقديم حاصر لسبب الغلبة بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام[(١)]؛ فلا سبيل للغلبة إلا باتباع الهدى.

٣٧٩

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة القصص: آية ٣٩]

نسيان الآخرة أكبر حامل على الطغيان!

٣٨٠

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة القصص: آية ٥٥]

هكذا أدّب القرآن أهله في التعامل مع لغو الجاهلين:

١. الإعراض عن سماعه ابتداءً؛ فضلاً عن صدوره منهم: ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

---

(١) ينظر: شرح التصريح على التوضيح (١/ ٣٥٦).

٢. الانشغال بالعمل المثمر، والمحاسبة عليه: ﴿وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾.

٣. موادعة الجاهل ومتاركته، وعدم مواجهته ومقاولته: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

٤. البعد عن مواطن الجهل، وأسبابه، ومصاحبة أهله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾.

٣٨١

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة القصص: آية ٧٩]

هكذا تكون إرادة الدنيا حجاباً كاثفاً عن رؤية الأمور على حقائقها، ومفسدة للتصور.

٣٨٢

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [سورة القصص: آية ٨٠]

من أعظم مهام أهل العلم تبصير الخلق بالحق، وانتشالهم من حبائل الفتن؛ لا أن يكونوا ممن يزينها بفعلهم وقولهم ومماليتهم للظالمين.

٣٨٣

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: آية ٨٨]

لعمر الله! إنها لأقوى داعٍ لمراجعة حسابات الأعمال؛ حتى يبقى أجرها ببقاء من عُملت له!

٣٨٤

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [سورة القصص: آية ٨٨]

إذا كان كل شيء هالكاً إلا وجهه؛ فكذلك كل عمل يفنى إلا ما أريد به وجهه.

سورة العنكبوت

٣٨٥

قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة العنكبوت: آية ٢٥]

المجاملات التي تستبقي المودة الدنيوية على حساب العقيدة تنقلب يوم القيامة ضداً؛ تجاحد، وتلاعن، وعذاب جهنم، وانتفاء النصرة من كل وجه.

٣٨٦

قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة العنكبوت: آية ٣٨]

الإعجاب بالعمل، وعدم إعمال مبضع المحاسبة عليه؛ من أعظم وسائل الشيطان التي يصد بها العبدَ عن صراط الله المستقيم.

❋❋❋

سورة الروم

٣٨٧

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم: آية ٢١]

ما دام أن الله هو موجد تلك المحبة والرحمة بين الزوجين - والذي بها هناء البيت الزوجي -؛ فليس مثل طاعته سبيلاً للزيادة من تلك المحبة والرحمة والهناء، والنقص بالنقص.

٣٨٨

رسالة الوباء: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الروم: آية ٤١]

- الابتلاء: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.
- سببه: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.
- الغاية: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.
- فهل وعينا الرسالة الربانية؟

٣٨٩

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الروم: آية ٦٠]

من أشق أنواع الصبرِ الصبرُ على انتفاشِ الباطل، ومواجهه إعلامياً، واستفزازِ أهله وهزئهم بالأخيار.

سورة لقمان

٣٩٠

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [سورة لقمان: آية ٧]

الاستكبار قفل يغلق منافذالهدى إلى القلب؛ فلا تؤثر فيه الآيات وإن تليت عليه.

٣٩١

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة لقمان: آية ١٦]

زرع الوالد مخافةَ الله في ولده من نعومة أظفاره بإشعاره دقةَ علم الله ودوامَ مراقبته، وضربِ الأمثلة الحسية على ذلك؛ من أعظم ما يغرس الوازع الديني في نفس الولد، وينميه؛ فينعم بصلاحه، وحفظ الله له .

❋❋❋

سورة السجدة

٣٩٢

قال تعالى: ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [سورة السجدة: آية ١٢]

لا شيء كاليقين؛ حادٍ للمرء إلى العمل الصالح، ومقوٍّ له عليه .

قال الحسن البصري: «صدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باليقين طلبت الجنة، وباليقين هرب من النار ، وباليقين أوتيت الفرائض، وباليقين صبر على الحق، وفي معافاة الله خير كثير قد والله رأيناهم يتقاربون في العافية فلما نزل البلاء تفارقوا»(١).

٣٩٣

قال تعالى: ﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ١٥﴾ [سورة السجدة: آية ١٥]

السجود غاية هيئات الذل العبادي، والتسبيح غاية التنزيه الرباني؛ وبالجمع بينهما يسلم العبد من معرة الكبر والاستكبار حياته كلها ما دام حاله كذلك.

قال الحسن البصري : «السجود يَذهب بالكبر ، والتوحيد يَذهب بالرياء»(٢).

❋❋❋

(١) اليقين لابن أبي الدنيا (٣٦) .

(٢) التواضع لابن أبي الدنيا (٢٧٣).

سورة الأحزاب

٣٩٤

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: آية ٢١]

حين ذكر الله حال الشدة في غزوة الأحزاب أتبعها بآية الائتساء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ ولعل من أسرار ذلك: أن من يُظن فيه الاقتداءُ قد لا يثبت في موطن الأزمات؛ فخلوص الأسوة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمان من التباس الحق بنكوص الناكصين، وقوة دافعة للاستمساك بالحق حين تكلّ الأيدي عنه، وسلوة عن الوحشة بقلة الأنيس.

٣٩٥

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: آية ٥١]

إياك أن يكون في قلبك ما لا يرضاه الله؛ فإن ما تخفيه في قلبك بادٍ لربك، ومعلوم لديه!

٣٩٦

قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: آية ٦٠-٦٢]

تمرد حركة النفاق، وظهور مكرها خطرٌ مستطير يهدد أمن المجتمع المسلم وكيانه؛ ولا يمكن لهذا الفساد أن يترك عاثيًا دون تأديب وإيقاف؛ ولأجله أجرى الله سنته التي لا تتبدل زمنًا أو مكانًا؛ بتسليط عباده المؤمنين على أولئك

المجرمين؛ ليطهروا المجتمع من رجسهم؛ نفيًا وقتلاً.

٣٩٧

قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: آية ٧١]

من رام صلاح العمل؛ فليصلحْ منطقَه؛ إذ القلب مَلِك الجوارح، واللسان معبِّرٌ عنه؛ وبصلاح هذا اللسان تصلح الجوارح والعمل، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا أصبح ابنُ آدمَ؛ فإنَّ الأعضاءَ كلَّها تكفِّر اللسانَ، فتقول: اتقِ الله فينا؛ فإنما نحن بك؛ فإن استقمت استقمْنا، وإنِ اعوججتَ اعوججنا»**[(١)].

قال يحيى بن أبي كثير: «ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطقه إلا عرفت ذلك في سائر عمله»[(٢)].

❋❋❋

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وجوّد إسناده المناوي. فيض القدير (١/ ٢٨٦).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ٨٦).

سورة سبأ

٣٩٨

قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سورة سبأ: آية ٦]

اليقينُ بالحق الذي تضمّنه الوحي، وأنه الهادي إلى صراط الله المستقيم هو أعظم ما يُستجلب به العلم، ويرسِّخه، ويزكيه، ويباركه.

٣٩٩

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة سبأ: آية ٤٨]

في ختم الآية بـ«علام الغيوب» لفتٌ لداعي الحق بمراقبة الإخلاص والتجرد لله الذي لا يخفى عليه قصده.

٤٠٠

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة سبأ: آية ٤٨]

ليس عليك إلا تحمّل الحق وإبلاغه ببينة وإخلاص . أما الأثر؛ فدعه للقذيفة الربانية.

٤٠١

قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ [سبأ: آية ٥٠]

وحي الله القرآني والسني هو سبيل الهداية الوحيد؛ فيا خيبة من طلبها من غير هذا السبيل!

❋❋❋

سورة فاطر

٤٠٢

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [سورة فاطر: آية ٦]

جمعت هذه الآية وصف الشيطان: ﴿عَدُوّٞ﴾، وغايته: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾، والموقف منه: ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

٤٠٣

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سورة فاطر: آية ١٠]

يا من تبحث عن العزة! اعلم أنّك لن تجدها إلا في طاعة من له العزة جميعـًا!

❊❊❊

سورة يس

٤٠٤

قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ [سورة يس: آية ٦]

لا شيء كنور الإنذار يبدد ظلمة الغفلة وإن تراكمت أو وُرِثت .

٤٠٥

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [سورة يس: آية ١١]

اتباع القرآن والخوف من الله حال الخلوة هما سبيلا المغفرة الواسعة والأجر الكريم.

٤٠٦

قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧﴾ [سورة يس: آية ١٧]

البلاغ الواضح وظيفة الأنبياء والدعاة، وذلك لا يتفق مع التعمية والغمغمة التي يسلكها البعض؛ خشية رفض الآخر أو نفرته . وشتان بين لطف الأسلوب وخلل المضمون.

٤٠٧

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾ [سورة يس: آية ٢١]

أعظم ما يحمل الناس على اتباع دعوة الخير أمران؛ تجرد الداعي من حظوظ الدنيا، واستقامته التي لا يناقض فيها فعلُه قولَه.

٤٠٨

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة يس: آية ٢١]

أبلغ وسائل تأثير الداعية التي تحمل الناس على اتباع دعوته زهده عن الطمع بما في أيديهم، واتساق قوله مع فعله دون مناقضة.

❊❊❊

سورة الصافات

٤٠٩

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

[سورة الصافات: آية ١٤٣-١٤٤]

التسبيح الشامل للصلاة والذكر - سيما ما كان في وقت الرخاء - عدةٌ لدفع البلاء ورفعه. ومن أجلّ ذلك التسبيح دعوة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي قال عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»(١).

❋❋❋

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١١٨).

سورة ص

﴿ ٤١٠ ﴾

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة ص: آية ٢٦]

ذكر الآخرة، واستحضار حسابها أعظمُ عاصم من اتباع الهوى.

﴿ ٤١١ ﴾

قال تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [سورة ص: آية ٤٢]

فرج الله بحر رحب؛ لا تحيط الظنون بمسارب وروده؛ فبلاء أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طاولت أيامه السنين، وقد رفعه الله في لحظة بحركة قَدم!

❊❊❊

سورة الزمر

﴿ ٤١٢ ﴾

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سورة الزمر: آية ٣٦]

كفاية الله للعبد بقدر ما حقق العبد من عبودية له سبحانه.

❊❊❊

٤١٣

قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة غافر: آية ١٣]

رجوع العبد إلى ربه بالطاعة في شتى أموره يورثه بصيرة القلب، ويفتح له آفاق الاتعاظ بالآيات، والتأثر بها، والاستفادة منها؛ مما يعود عليه بزيادة الإيمان والهدى.

٤١٤

قال تعالى: ﴿مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة غافر: آية ٢٧]

هناك تناسب عكسي بين الكِبْر والإيمان باليوم الآخر؛ فكلما ضمر ذلك الإيمان تعاظم ذلك التكبر، والعكس صحيح.

٤١٥

قال تعالى: ﴿مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة غافر: آية ٣٥]

لا تكاد تجد متكبراً إلا وجدته متسلطاً غليظ القلب.

٤١٦

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة غافر: آية ٥٥]

زاد السائر في طريق النصر:

١. الصبر.
٢. اليقين بوعد الله.
٣. الاستغفار.

٤. التسبيح الدائم، خاصة أول النهار وآخره.

والصلاة تجمع ذلك كله؛ ولذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر صلى[١].

❊❊❊

(١) رواه أبوداود (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٦٥).

سورة فصلت

٤١٧

قال تعالى: ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة فصلت: آية ٢٦]

رفع الصوت بالصياح، والمشاغبة باللغط أمام الحقائق حيلةٌ يتخذها المبطلون؛ بغية تمويه باطلهم وإظهار غلبته، وما هي إلا معاول هدمه، وسبيل علو الحق وظهوره عليه.

٤١٨

شتان بين بشارتيْ الملائكة ساعة الاحتضار؛ للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة فصلت: آية ٣٠]، **وللمجرمين:** ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٢].

٤١٩

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فصلت: آية ٣٣]

بصيرة ربانية في نجاح دعوة الداعي؛ وذلك من خلال أركانها الثلاثة:

- اتضاح الغاية وسموها، وعلم بما يدعو: ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾.
- تحقيق جانب القدوة الذاتي: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.
- التآلف الإيماني: ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

٤٢٠

قال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [سورة فصلت: آية ٤٣]

التعزي بالأنبياء بلسم وعزاء؛ تداوى بها جراح التكذيب والأذى، وبشارةٌ بسلوك طريقهم القويم.

٤٢١

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١﴾ [سورة فصلت: آية ٤١]

تُنال العزة بقدر العناية بهذا الكتاب العزيز؛ علماً وعملاً وحكماً واهتماماً!

٤٢٢

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [سورة فصلت: آية ٤٤]

هكذا هو أثر القرآن على المؤمنين؛ هدى لقلوبهم، وشفاءً لأدوائهم وأسقامهم . وبمقدار ذلك الإيمان يكون الاهتداء والشفاء بالقرآن.

❊❊❊

سورة الشورى

﴿ ٤٢٣ ﴾

قال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ [سورة الشورى: آية ١٣]

من أمارات رشد دعوة الخير، واستقامة منهجها تبرمُ الكفار بها، وضيقهم بها .

❊❊❊

سورة الزخرف

٤٢٤

قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الزخرف: آية ٣٢]

ما دام أن القسمة تولاها الحكيم العليم؛ فلِمَ الاعتراض والحسد؟!

٤٢٥

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الزخرف: آية ٣٦]

من شؤم الغفلة عن ذكر الله حضور شياطين الجن والإنس، بل واقترانهم الملازم بالغافل، وفي ملازمة الذكر عصمة من ذلك؛ إذ ذكر الله أعظم طارد لأولئك الأشرار.

قال ابن القيم: «فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظًا وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عَزَّوَجَلَّ؟!»[1].

٤٢٦

قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: آية ٣٩]

مِن رَهَقِ عذاب الآخرة، ومفارقته عذابَ الدنيا أن مشاركة الآخرين في العذاب لا تسلي أحداً من المعذَّبين، أو تخفف وقع العذاب عليه، كما هو الحال في عذاب الدنيا!

---

(١) الوابل الصيب (٨٢).

٤٢٧

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الزخرف: آية ٨٥]

قارن بين هذا المُلك الهائل الذي لا يزول ولا يخشى صاحبه عليه وبين مُلك مَلِك أرضي محدود المساحة والزمن ومحفوف بالخطر؛ ثم اعجب من تباين الخلق في التعظيم!

❊❊❊

سورة الجاثية

٤٢٨

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [سورة الجاثية: آية ١٩]

الظلم رحم شؤم؛ يجمع النظير بنظيره، ويحمله على مناصرته في ظلمه ومولاته، وما أبأس تلك الموالاة! وما أتعس عاقبتها!

٤٢٩

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [سورة الجاثية: آية ١٩]

ولاية الله لعبده تكون بقدر ما حقق العبد من التقوى!

٤٣٠

قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠﴾ [سورة الجاثية: آية ٢٠]

القرآن بصيرة للناس أجمع، لكن هدايته ورحمته لا تتفتح إلا بمفتاح اليقين الذي وصف حالَ الصحابة معه عبدُالله بن رواحة بقوله:

«وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع»[1]

٤٣١

قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠﴾ [سورة الجاثية: آية ٢٠]

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٧٩٩)

القـرآن يحمل البراهين للنـاس كافة، لكنه لا يكون هـدى ورحمة إلا لأهل اليقين!

﴿ ٤٣٢ ﴾

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الجاثية: آية ٢٣]

الهـوى قفْلٌ؛ يسـد منافذ الهدى؛ فـلا عجب من ضلال صاحبـه وإن كان ذا علم!

❊❊❊

سورة الأحقاف

٤٣٣

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [سورة الأحقاف: آية ١٦]

بر الوالدين من أعظم أسباب قبول العمل الصالح، والتجاوز عن السيئات. ومن العمل الصالح الذي يرجى قبوله بالبر الدعاءُ بصلاح الولد الذي ورد في سابقة الآية: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾.

❊❊❊

سورة محمد

٤٣٤

قال تعالى: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٤﴾ [سورة محمد: آية ١٤]

متى ما كان تزيين العمل السيء فثمّ قرينه وسببه؛ اتباعُ الهوى!

٤٣٥

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾ [سورة محمد: آية ١٦]

اتباع الهوى سبب للطبع على القلب؛ فيصمّه عن سماع الحق، ويعميه عن اتباعه!

٤٣٦

قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [سورة محمد: آية ١٩]

من أمارات الانتفاع بالعلم استشعار الخطيئة، وكثرة الاستغفار منها، وسلامة القلب للمؤمنين، وكثرة الاستغفار لهم؛ فصاحب العلم النافع لا يعيش لنفسه، بل تفيض بركة علمه على المؤمنين بكثرة استغفاره لهم!

٤٣٧

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [سورة محمد: آية ٢٤]

أقفال القلوب لا تفتح إلا بإقليد تدبر القرآن!

٤٣٨

قال تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [سورة محمد: آية ٣٠]

معنى القول ومضامينه مكمن فضح المنافق وإن زخرفه بالبهرج وأكدّه بالأيمان الفاجرة! فالمعنى معقد فحص القول، ومعيار تقييمه!

٤٣٩

قال تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة محمد: آية ٣٧]

ضغائن النفوس كامنة تحت علائق الأموال؛ ولذا كانت دعوة الأنبياء مجردة من التطلع إلى أموال الناس أو طلبها: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾! [سورة الفرقان: آية ٥٥] قال قتادة: «قد علم الله أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان»[(١)]. فمن أراد صفاء الناس فليزهد في أموالهم!

❊❊❊

(١) تفسير البغوي (٤/ ٢١٩).

سورة الفتح

﴿ ٤٤٠ ﴾

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [سورة الفتح: آية ٤]

طمأنينة القلب بالسكينة مزادة إيمان؛ يربط الله بها على قلوب أهل الإيمان حال الأزمات؛ فلا تجبن، ولا تجزع، ولا تتهور!

﴿ ٤٤١ ﴾

قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [سورة الفتح: آية ١٨]

متى ما علم الله صدق القلب ساق لصاحبه وفود النعم الخاصة والعامة؛ مما يتوقعه وما لا يتوقعه!

❊❊❊

سورة الذاريات

٤٤٢

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الذاريات: آية ١٦-١٩]

من أخص مواطن تحقيق الإحسان وخصال تحصيله؛ صلاة الليل بعد نوم مستغرق، واستغفار بالسَّحَر، وسخاء المال للمحتاج.

٤٤٣

قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الذاريات: آية ٢٢]

اطمئن؛ فلن يقدر أحد من أهل الأرض - مهما أوتي من قوة - على إنقاص رزقك المكتوب في السماء، أو منعه؛ فاطلبه بثقة التوكل وصحيح السبب وعدم الاستعجال من مالك الأرض والسماء؛ الذي أقسم على هذه الحقيقة التي باتت في البيان والوقوع كحقيقة النطق الذي لا يرتاب في حصوله أحد؛ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الذاريات: آية ٢٣].

❋❋❋

سورة الرحمن

﴿ ٤٤٤ ﴾

قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الرحمن: آية ٢٩]

لا يأسرْك الواقعُ بضيقه وألمه ومرارته؛ فإن لربك القدير في كل يوم شأنـًا!

❊❊❊

سورة الحديد

﴿ ٤٤٥ ﴾

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

[سورة الحديد: آية ٤]

من كان هذا بعض فعله؛ فهو جدير بالتوكل عليه!

﴿ ٤٤٦ ﴾

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

[سورة الحديد: آية ٤]

من كان هذا بعض فعله؛ هل يُتَّخذ رب سواه؟!

❊❊❊

سورة المجادلة

٤٤٧

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [سورة المجادلة: آية ١١]

الله أكبر! توسعة لشخص في مجلسٍ مسافةً قد لا تستغرق عشرات السنتمترات كانت سبباً للتوسعة الإلهية العظيمة على العبد؛ فكيف بما عظم عليها في العمل؟!

❊❊❊

سورة الحشر

﴿ ٤٤٨ ﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [سورة الحشر: آية ١٨]

بشرى للمحسن، وتحذير للمسيء، وعزاء لمن يشكو نكران الآخرين لمعروفه.

❊❊❊

سورة المنافقون

﴿ ٤٤٩ ﴾

قال تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة المنافقون: آية ١٠]

الصدقة شعار الصالحين، وهي سبيل للدخول في زمرتهم.

❊❊❊

سورة الطلاق

﴿ ٤٥٠ ﴾

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق: آية ٢]

غالبـًا مـا تكون لحظـات الطلاق من أصعـب الظروف النفسـية التي تحيط بالشـخص، سـيما المـرأة . ومن تأمل تكرر ذكـر التقوى وثمارها بيـن ثنايا آيات سورة الطلاق أدرك علاج ذلك الظرف، وكيفية تخفيف آثاره .

❊❊❊

سورة القلم

٤٥١

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢﴾ [القلم: آية ٣٢]

إخلاص الرغبة إلى الله – تعالى –، وإعظام الأمل فيه سبيل البدائل الخيرة. وما طُلب البديل الأخير لما هو فائت أو متغيّر بمثل صدق تلك الرغبة والأمل!

٤٥٢

قال تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡ﴾ [القلم: آية ٤٤-٤٥]

توالي فرص التمكين للظالم، وإرخاء عنان الإمهال له غالباً ما يحمله على الاغترار بالقدرة، ونسيان المظالم؛ وتلك علامة استدراج إلهي لسوء ختام دنيوي ومرتع أخروي وخيم!

٤٥٣

قال تعالى: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ [سورة القلم: آية ٤٤-٤٥]

إذا رأيت منعَّماً ساخراً بالأحكام الشرعية؛ فاعلم أنه مستدرج لمرجع وخيم.

❋❋❋

سورة المعارج

﴿ ٤٥٤ ﴾

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: آية ٢٢]

المصلي وصف لا يستحقه إلا من كان على صلاته مداوماً.

❊❊❊

سورة الإنسان

٤٥٥

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [سورة الإنسان: آية ٢٧]

هناك ارتباط بين وقوف الصلاة ووقوف القيامة؛ فمن وفّى الأول حقه خفف عليه الثاني، ومن استخف بالأول شُدد عليه في الثاني .

قال ابن القيم: «للعبد بين يدي الله موقفان؛ موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بي يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هوّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [سورة الإنسان: آية ٢٧]»[1].

❊❊❊

(١) الفوائد (٢٠٠).

سورة المرسلات

٤٥٦

قال تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣﴾ [سورة المرسلات: آية ١٣]

أخطـر القضايا تلـك التي رفعها المظلوم لمحكمة الآخـرة يوم الفصل حين أيس من الانتصاف في الدنيا! وقد خاب من حمل ظلمـًا!

❊❊❊

سورة النازعات

٤٥٧

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النازعات: آية ٤٠]

ما قُمِعت النفوس عن أهوائها بمثل ذكر المقام بين يدي ربها.

٤٥٨

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النازعات: آية ٤٦]

ألا ما أحقر هذا الدنيا! تلاشى في أول الآخرة طولُ نعيمها وبؤسها حتى بدا كبضع ساعات في يوم وليلة دنيوية!

٤٥٩

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النازعات: آية ٤٦]

كما قصرت الدنيا برؤية بدوِّ الآخرة؛ فكذلك تقصر عند ذكرى الآخرة.

❊❊❊

سورة الانفطار

٤٦٠

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾ [سورة الانفطار: آية ١٣]

من رام عاجل النعيم وآجله؛ فليلزم عتبة البر؛ بفعل الخير؛ إتقاناً وكثرة.

٤٦١

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾ [سورة الانفطار: آية ١٣]

هـذه الآية تفصح عن سـر تلـذذ الأبـرار في أعمالهم الصالحـة، وديمومتهم عليها، واستكثارهم منها وإن شقّت؛ إنهم في نعيم!

❊❊❊

سورة العلق

٤٦٢

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾

[العلق: آية ٦]

فتنة الغنى من أقوى أسباب طغيان العبد، ولن يلجم صولتَها مثلُ ذكر الرجوع إلى الله!

٤٦٣

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾

[سورة العلق: آية ٨]

فيها بيان سبب الطغيان وعلاجه؛ السبب: استشعار الاستغناء ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾، والعلاج: ذكر الرجوع إلى الله ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾.

٤٦٤

قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق: آية ١٩]

السجود أسرع وسيلة للقرب من الله سبحانه.

❊❊❊

متفرقات

٤٦٥

قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾ ﴿يَٰقَوۡمَنَآ﴾ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾

حسن توظيف الداعية القواسم المشتركة بينه ومن يدعوه - مما لا يعارض الثوابت -؛ مما يفتح قلب المدعو لقبول دعوته.

٤٦٦

لا شيء يبدد غياهب الحزن - وإن كان العبد في أشد الضيق - كاليقين بمعيّة الله التي ينالها العبد بالأعمال الصالحة التي أثبت الله معيته لأهلها، وهي الإيمان: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾ [سورة الأنفال: آية ١٩]، والتقوى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [سورة التوبة: آية ٣٦]، والصبر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٣]، والإحسان: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سورة العنكبوت: آية ٦٩].

❋❋❋